وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عمار ثليجي الأغواط

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإسلامية و الحضارة

قسم التاريخ

الـــعـنوان :

يوغرطة و إستراتيجية الحرب ضد روما (112 ق.م-105ق.م)

مذكرة تخرج ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في تاريخ الحضارات القديمة

من إعداد الطالبة:

- ندى مولاي

تحت إشراف الأستاذ:

د. صبيحة أوكيل

السنة الجامعية 2022/2021

شكر و تقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد ..

فإنني أشكر الله تعالى على فضله حيث أتاح لي إنجاز هذا العمل بفضله، فله الحمد أولاً وآخراً.

بعد شكر االله سبحانه و تعالى على توفيقه لي بإتمام هذا البحث المتواضع أتقدم بجزيل الشكر للذين أعانوني و شجعوني على الإستمرار في مسيرة العلم و النجاح، و إكمال الدراسة و البحث؛ كما أتوجه بالشكر للأستاذة المشرفة الدكتورة ***صبيحة أوكيل*** على كل ما قدمته لي من توجيهات و معلومات قيمة ساهمت في إثراء موضوع دراستي في جوانبها المختلفة و أسأل الله أن يثبت خطاها و ييسر دربها.

كما أوجه جزيل الشكر و التقدير لأساتذة التاريخ القديم **عبد الوهاب كيدار، مريقي طارق، مريقي أبوبكر** و **حمدي أحمد** عرفانا لهم على كل الدعم الذي قدموه لي فأقول لهم جزاكم الله ألف خير و عوضكم على ذلك أجراً عظيماً. كما أتقدم بتحية و شكر إلى كل ***أساتذة قسم التاريخ*** و أعضاء لجنة المناقشة على تحملهم عبئ قراءة هذا البحث العلمي و تقييمه بورك فيكم.

كما لا يفوتنا أن نتقدم بخالص الشكر و العرفان للصديقة ***خديجة عيساوي*** طالبة التاريخ القديم التي قاسمتني الكثير من التعب و المشاق و ضغوط منذ بداية العمل إلى نهايته.

إهـــداء

بدأت شمس الجامعة تميل إلى الغروب تاركة آثارها في القلوب و جعلتنا نحمل الأوراق و الأقلام في آخر اللحظات لنكتب أغلى و أجمل الإهداءات.

أهدي ثمرة جهدي إلى من قال فيهما عز وجل " و اخفض لهما جناح الذل من الرحمة و قل ربي احفظهما كما ربياني صغيرا"

إلى رمز الحنان أمي الغالية حفظها الله و أبي الغالي حفظه الله و إلى سندي أخي العزيز

إلى صديقاتي سمية لشلح و أنفال صفراني و إلى كل من وسعه قلبي و لم يسعه قلمي ...

ندى

مقدمة

لقد عرفت منطقة بلاد المغرب القديم العديد من الملوك الذين كان لهم دوراً في تغيير سير الأحداث و حكموا كذلك جزءاً من الشمال الإفريقي و بالأخص نوميديا، هذه المملكة التي عرفت بدورها إقامة علاقات مختلفة و بالتحديد مع العالم الروماني، حيث تعود علاقة الملوك النوميد بالرومان إلى الفصول الأولى من الحرب البونية الثانية و التي من خلالها اتصل الملك ماسينيسا بالرومان حيث يُعد ماسينيسا أول من وضع المعالم الأولى لعلاقة النوميديين بالرومان، و التي وصلت حتى إلى ابنه مكيبسا حيث سار بدروه على نهج أبيه بتطبيق علاقاته مع روما طيلة عهده. غير أن العلاقات التي أقامها هذا الملك لم تعد بنفس الثبات و القوة في عهد بعض خلفاءه، حيث حدثت قطيعة في العلاقات النوميدية الرومانية في عهد بعض الملوك الذين اشتهروا بعدائهم للرومان، و التي تمثلت في الملك يوغرطة.

إن هذا الملك النوميدي الذي رفض تدخل الرومان في المسائل النوميدية الداخلية بل ذهب إلى أبعد من ذلك حيث خاض حربا مريرة ضد الرومان استعمل فيها حنكته السياسية التي كشفت عيوب التنظيمات الرومانية، كما استعمل أيضاً السبل العسكرية التي تمثلت في الإستراتيجية و التكتيك الحربي التي اعتمدها ضد الخصم الروماني.

و بناءا على ما سبق أجد نفسي أمام الإشكالية التالية:

ما هي الأساليب التي عزّز بها يوغرطة مواجهته لنفوذ الرومان في شمال إفريقيا؟

و ضمن هذه الإشكالية تندرج مجموعة من التساؤلات:

كيف كانت الأوضاع قبل ظهور شخصية يوغرطة؟ و ما هي مفرزاتها؟

ما هي ظروف تكوين شخصية يوغرطة؟

كيف كانت علاقته مع إخوته؟ و ما ترتب عنها من نتائج؟

كيف كانت سياسة يوغرطة اتجاه الرومان في البداية و لماذا تغيرت سياسته هذه عن الفترة التي نزلت روما بجيوشها لتأديبه؟

ما هي أسباب إعلان روما الحرب على الملك يوغرطة؟

تكمن أهمية الموضوع في كونه يسلط الضوء على أحد أهم شخصية نوميدية كان لها وزن في روما بشكل عام و في نوميديا بشكل خاص، حيث هذا الأخير تميز بعلاقته العدائية اتجاه الرومان و التي كانت عكس ذلك في الفترة التي سبقتها. فموضوع الدراسة يتناول إجمالاً تنوع إستراتيجية الملك يوغرطة في إطار مقاومته ضد العدو بُغيت إنهاء وجوده في المنطقة، هذا ما أسفر فيما بعد عن الإبعاد السياسية التي غيرت مجرى الأحداث في المنطقة.

تعددت أسباب اختياري لدراسة موضوع إستراتيجية حرب يوغرطة ضد روما لأهميته، فمنها الأسباب الذاتيةالتي تنحصر في رغبتي في معرفة عوامل تكوين شخصية يوغرطة إذ يُعد من المواضيع الشيقة المليئة بالأحداث المتسلسلة، هذا ما استقطبني و أثار فضولي و بالتالي ولّد رغبة أكثر لدراسته من كل الزوايا. أما الأسباب الموضوعية تتمثل في أن الموضوع محوري و رئيسي في تاريخ المغرب القديم إذ يعبر عن مقاومة النوميد للوجود الروماني مخلفة بذلك آثار تعود سلباً على روما بصفة عامة و نوميديا بصفة خاصة.

أما بخصوص المنهج المتبع لإنجاز هذا البحث فاتبعت المنهجين الوصفي و التحليلي معاً، فالأول اعتمدتُ عليه في تتبع سير الأحداث التاريخية و وصفها و ظهر هذا جلياً في جل الفصول، أما الثاني فاعتمدت عليه لتحليل بعض الأحداث التاريخية التي استدعت التدخل من طرفي أحيانا بغية الوصول لإجابات وافية عن التساؤلات المطروحة.

و نظراً لطبيعة الموضوع و الأفكار الأساسية التي يتضمنها بحثي فإني قد قمت بتقسيم عملي هذا إلى ثلاثة فصول، فقد جاء الفصل الأول بعنوان أوضاع المغرب قبل ظهور يوغرطة في ساحة الأحداث و الذي يحتوي على مبحثين فصلت فيهما علاقة ماسينيسا بروما و ابنه ميكيبسا من بعده. أما الفصل الثاني فعنونته ببروز يوغرطة في ساحة الأحداث و جاء فيه ثلاثة مباحث تحدثت فيها عن تكوين شخصية يوغرطة و كيفية تبني مكيبسا له بالإضافة إلى أزمة وراثة العرش الثانية من بعد والده مكيبسا.

أما الفصل الثالث فكان تحت عنوان إستراتيجية حرب يوغرطة ضد الرومان و جاء فيها ثلاث مباحث تفصلت فيها بالحديث عن سياسة الرشوة و حرب العصابات التي انتهجها يوغرطة، كذلك تحدثت عن المواجهة العسكرية بينه و بين القناصل الرومان و أخيرا ختمت الفصل الأخير و موضوعي بتداعيات الحرب اليوغرطية على نوميديا و روما.

أما بالنسبة لأهم المصادر التي اعتمدت عليها فهي للمؤرخ ساليست لحرب يوغرطة ورد فيه شرح أحداث المواجهة بين يوغرطة و الرومان بالتفصيل و بالرغم من أن الكاتب يحاول تقزيم المنطقة و شعبها إلا أنه يعتبر المصدر الوحيد الذي عاصر فترة حرب يوغرطة.

و فيما يخص المراجع فقد ساعدتني مجموعة من الكتب المتخصصة بتاريخ المنطقة و بالرغم من أنني التمست فيها بعض الذاتية إلا أنني لم أستطع العمل من دونها، و من أهمها كتب المؤلف الراحل مُحَّد الصغير غانم مثل كتابه مقالات و آراء في تاريخ الجزائر الجزء الأول و الثاني، و الدكتور مُحَّد الهادي حارش في كتابه دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر و بلدان المغرب في العصور القديمة و كتاب التطور السياسي و الاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش حتى وفاة يوبا الأول، كذلك كتاب ستيفان قزال لتاريخ شمال افريقيا. بالإضافة إلى مؤلفات مُحَّد البشير الشنيتي من بينها كتاب أضواء على تاريخ الجزائر و كتاب الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة).

أما بالنسبة للدراسات السابقة المتخصصة فقد اعتمدت بالدرجة الأولى على رسالة الدكتوراه لجمال مسرحي المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني في الجنوب الشرقي الجزائري حيث أفادني في الحديث أكثر عن يوغرطة. كذلك رسالة دكتوراه لتوريت مصطفى جاءت بعنوان العلاقات النوميدية الرومانية بين السيادة و التبعية 203ق.م-46ق.م التي اعتمدت عليها أكثر في الحديث عن العلاقات التي جمعت الملوك النوميد و الرومان السلمية منها و العدائية. كما اعتمدت على مذكرة سي الهادي ذهبية بعنوان الممالك الوطنية بين قرطاجة و روما من نهاية القرن الثالث إلى القرن الأول قبل الميلاد و التي أفادتني هي الأخرى في العلاقات النوميدية الرومانية.

أما الصعوبات التي واجهتني فلم أجد صعوبات كثيرة بالنسبة للكتب و المراجع و لكن المصادر فقط صعب عني ترجمتها و الوصول إليها ، أما العمل على العموم كان سهلا.

الفصل الأول: أوضاع المغرب القديم قبل ظهور يوغرطة في الأحداث

I: ماسينيسا و علاقته بالرومان

1/ مولده و نشأته

2/ ظهور الملك ماسينيسا بعد وفاة الملك غايا و دوره في الحرب البونية الثانية (218ق.م-202ق.م)

3/ علاقة الملك ماسينيسا بروما

II: مكيبسا و علاقته بالرومان

1/ تقسيم السلطة

2/ نشأة مكيبسا و إسهاماته

3/ علاقة مكيبسا بالرومان

لقد شهد المغرب القديم العديد من الأحداث على ساحته كان أبروها الصراع القرطاجي الروماني و الذي عاصرته مملكة نوميديا و كان لها فيه دوراً أساسيا في هذا الصراع. الذي نشب منذ بداية الحرب البونية الثانية حيث سعى كل من الطرفان للحصول على أحلاف و خلق جبهة داخلية فقد فشل الرومان في أول محاولاتهم لكسب ود الملك سيفاكس[1] إلا أنها سرعان ما استطاعت التحالف مع غريمه الملك ماسينيسا الذي كان هو الآخر يبحث عن دعم من أجل استرجاع الحكم و ممتلكات أجداده، و بالفعل كان له ما سعى من أجله فقد وحد مملكة نوميديا الشرقية و الغربية و جعلها كتلة واحدة لا تتجزأ و استرجع أراضي أجداده بالقوة، أما بالنسبة للرومان فقد نجحوا في الإيقاع بقرطاجة و التخلص منها و محوها من الخريطة الجغرافية، و ما يهمنا هنا هو العلاقات التي ميزت خلفاء الملك ماسينيسا بعد توحيده لنوميديا سنة 203ق.م حيث استطاع أن يكسب ود الرومان و يبقى صديقا حليفا لهم، و لم يكتف بهذا القدر فقط بل استمرت العلاقات حتى بعد وفاته و سار أولاده على نفس طريقته، و هذا ما سنتطرق إليه بالتفصيل في هذا الفصل حول طبيعة العلاقات القائمة بين الملك ماسينيسا و خليفته مكيبسا مع الرومان.

I: ماسينيسا و علاقته بروما

1/ مولده و نشأته:

إن الوثائق الأثرية و النقوش المتعلقة بالملك ماسينيسا نادرة و فقيرة جدا، إلا أن من بين الوثائق التي تحمل اسمه "مسنسن"[2]. و عُثر أيضا على بعض النصب البونية المكتشفة في معبد الحفرة (قسنطينة) التي تحمل اسم ماسينيسا باللغة الليبية و الباقي إما مكتوب باللغة الإغريقية أو اللاتينية و بالنسبة للنصوص الإغريقية التي وُجد فيها اسم الملك إما تكون معاصرة له أو تعود لفترة وفاته و هي ثلاثة نصوص إهدائية وجدت في جزيرة ديلوس[3].

(1)**سيفاكس**: حاكم نوميديا الغربية تميز بإتزان الشخصية و سداد الرأي و تغليب العقل و الحكمة في العديد من المواقف.أنظر: مُحَمَّد الصغير غانم،"الملك سيفاكس و الكيان النوميدي"، مجلة التراث، العدد09، مطبعة الشهاب، باتنة، 1997، ص13.

(2)قابرييل كامبس، **في أصول البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ**، تر: مُحَمَّد العربي العقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 1960،ص225.

(3)**ديلوس**: إحدى جزر الكوكلاديس و كانت الجزيرة مكانا هاما لأبولو كما كانت مركزا تجاريا و سياسيا هاما خلال العصور القديمة.أنظر: فوزي مكاوي، **تاريخ العالم الاغريقي و حضاراته** من أقدم العصور حتى عام 322ق.م،ط1،دار الرشاد، الدار البيضاء، 1980،ص138.

أما بالنسبة لتفسير معنى اسمه فهو مركب من جزءين "ماس أنسن"[1] و ثم ترجم المقطع الأول بعد ليفي باللهجة البربرية الحالية سيد بينما المقطع الثاني يعني بنفس اللهجة القوم و بهذا يصبح المعنى الإجمالي"سيد القوم"[2]. أما عن نشأته فهو ماسينيسا ابن غايا[3]الذي كان حاكما نهاية القرن الثالث قبل الميلاد على نوميديا الشرقية[4] عاصمتها كيرطا[5].

و قد ولد بمدينة دوقة[6] فحسب رواية يوليوس ليكون ماسينيسا قد وافته منيته و قد بلغ سن التسعين و كان في أوائل عام 148ق.م و بذلك تكون سنة ميلاده هي 238ق.م و قد ذهب إلى مثل ذلك كل من "ديودور الصقلي"[7]، "أبيان"[8]، "فاليروس ماكسيموس"[9]. و كتب "سيليوس إيطاليوس"[10] أن أمه كانت كاهنة تؤمن تؤمن بالطبقات الشعبية بقدرتها على معرفة أسرار المستقبل و يرجح أنها كانت نوميدية الأصل[11].

(1)جمال سويدي، **شخصيات بارزة في تاريخ الجزائر القديم إلى 1830**،تر: فايزة بوردوز، منشورات التل، البليدة، 2007، ص93.

(2)فتيحة فرحاتي، **نوميديا من حكم الملك غايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213ق.م–46ق**.م، منشورات أبيك، متيجة، 2007، ص81.

(3)**غايا**: هو ابن نارافاس خلف أباه على ملك نوميديا الشرقية كانت عاصمته كيرطا توفي سنة 206ق.م. أنظر: مبارك الميلي، **تاريخ الجزائرالقديم و الحديث**، ج1، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1989، ص179.

(4) جمال السويدي، المرجع السابق، ص93.

(5)**سيرتا**: مدينة جزائرية تقع في سهول قسنطينة على صخرة منيعة استعمرها القرطاجيون و أطلقوا عليها اسم كيرطا و أصبحت من ثم مستعمرة رومانية فدمرت عام 311 إثر عصيان قام فيها فأعاد بناءها الامبراطور قسطنطينيوس و أطلق عليها اسم قسنطينة.أنظر: هنري عبودي، **معجم الحضارات السامية**،ط2، جروس برس، لبنان،1991، ص519.

(6)**دوقة**: تقع مدينة دوقة على بعد 100كم غرب تونس هي نوميدية الاصل و مقر إقامة الملوك النوميديين بعد الحرب البونية الثالثة ألحقت عام 146ق.م بولاية افريقيا الرومانية.أنظر: أبوبكر سرحان، "مدن و موانئ بلاد المغرب القديم فترة الاحتلال الروماني 27ق.م–235م"، مجلة المؤرخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد 44، 2014، ص10.

(7)**ديودور الصقلي**: (80–30ق.م) مؤرخ يوناني من مؤلفاته: المكتبة التاريخية.انظر: عبد اللطيف أحمد علي، **مصادر التاريخ الروماني**، دار النهضة العربية، بيروت، 1970، ص60.

(8)**أبيان**:(95م–165م) مؤرخ يوناني ولد في الاسكندرية و اشتغل بالمحاماة من مؤلفاته التاريخ الروماني.أنظر: نفسه، ص63.

(9)فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص82.

(10)**سيليوس إيطاليوس**: شاعر روماني عاش في القرن الاول بعد المسيح.أنظر: مُحَمَّد فنطر، **يوغرطة** من ملوك شمال افريقيا و أبطالها، مكتبة المركز الثقافي التونسي، طرابلس، 1970، ص37.

(11) نفسه، ص37.

حيث رباه والده غايا تربية حسنة تليق بالملوك و دربه على الشجاعة و حب الوطن منذ نعومة أظافره و نشأ في قرطاجة حوالي سنة 238ق.م و تعلم عدة لغات بجانب لغته الأصلية الليبية منها اللغة الفينيقية و اللغة الإغريقية و هذه اللغات منحته فرصة التفتح على العالم الخارجي و الاعتناء بأصالته النوميدية[1].

و بالنسبة لصفاته: كان شخصية قوية البنيان[2]. كان جميلا ذا قامة طويلة و قوة نادرة فبإمكانه أن يظل واقفا أو أو على ظهر حصان نهاراً كاملا و هو صاحب الثمانين سنة يقفز على الحصان دون مساعدة أي أحد[3].

و وورد في نصوص بوليب[4] و ديودور الصقلي و غيرهم أن الملك ماسينيسا كان يستقبل المطر و البرد القارس مكشوف الرأس و مما أوردوه عن قوة بنيته قيادته لجيشه و هو في الثامنة و الثمانين من عمره: قاتل طيلة يومه الجيوش البونيقية و في صباح اليوم التالي وجده سكيبيو واقفا أمام خيمته و بيده رغيف يابس بأكله و جاء في نصوص بوليب أنه كان لا يتجاوز ذلك الرغيف اليابس عند القصور[5].

أما بالنسبة لحياته الملكية فيذكر أنه كان يعيش الترف في قصره و يتناول طعامه في أواني فضية و ذهبية[6]،و كان لماسينيسا 44 ولدا و مات العديد منهم قبل أن يصلوا لمرحلة البلوغ و بقي منهم عشرة فقط عند وفاته[7]. و يمكن تقسيم حياة هذا الملك من حيث مراحلها إلى ثلاثة أقسام و المتمثلة في مرحلة الطفولة و الشباب امتدت من تاريخ ميلاده في 238ق.م إلى غاية 206ق.م، ثم مرحلة التي قضاها مكافحا في استعادة ملكه من 206ق.م إلى غاية 203ق.م، و تعد هذه المرحلة هي أصعب فترات حياته و أكثرها نشاطا و حيوية أما المرحلة الثالثة فهي تلك الممتدة من 203ق.م إلى غاية وفاته سنة 148ق.م[8]، دام حكمه بلا منازع ما يقارب 56سنة[9].

(1)محمد الصغير غانم، **مقالات و آراء في تاريخ الجزائر القديم**، ج1، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2005، ص10.

(2)محمد بيومي مهران، **المغرب القديم**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1990، ص280.

(3)محفوظ قداش، **الجزائر في العصور القديمة**،تر: صالح عباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993، ص70.

(4)**بوليب**: 200-120ق.م مؤرخ يوناني و يعتبر تاريخه المكتوب باليونانية أوثق مصدر عن تاريخ الجمهورية الرومانية أوائل الحرب البونية الثانية في منتصف القرن الثاني من مؤلفاته: كتاب في الحركات العسكرية و آخر عن الحرب في نومانتيا و رسالة مدح فيلوبو يمين. أنظر: عبد اللطيف أحمد، المرجع السابق، ص55.

(5)محمد فنطر، المرجع السابق، ص99.

(6)محمد البشير الشنيتي، **أضواء على تاريخ الجزائر**، دار الحكمة، الجزائر، 2003، ص ص 36-38.

(7)أحمد سليماني، **يوغرطة و ماسينيسا**، دار القصبة، الجزائر، 2007، ص21.

(8)ذهبية سي الهادي، **الممالك النوميدية بين قرطاجة و روما من نهاية القرن الثالث ق.م إلى القرن الأول ق.م**، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2013/2012، ص40.

(9)جمال السويدي، المرجع السابق، ص94.

2/ ظهور الملك ماسينيسا بعد وفاة الملك غايا و دوره في الحرب البونية الثانية (218ق.م-202ق.م):

كانت علاقة غايا بقرطاجة ودية إذ نراه قد أرسل ابنه ماسينيسا إلى العاصمة القرطاجية ليتعلم فيها الأصول التربية البونيقية، كان على علاقة سلام مع قرطاجة خلال الحرب البونيقية الثانية (218ق.م-202ق.م) و إمدادهم بالقوة العسكري كما أنها تميزت في بعض الأحيان بالعداء خاصة آخر فترة و هذا حسب[1] تيتيوس ليفيوس[2].

و عند وفاة الملك غايا كان ابنه ماسينيسا يحارب في إسبانيا إلى جانب القرطاجيين ضد الجيوش الرومانية و كان عمره لا يتجاوز 26/25 سنة و مكث في شبه الجزيرة الأيبيرية من 212ق.م إلى 206ق.م[3]، و هذا ما أظهره أظهره و أثبته ستيفان قزال حيث قال:" بقي غايا على وفائه لقرطاجة و زودها بالجيوش التي ذهبت إلى إسبانيا و قد أقام ماسينيسا رئيسا لهذه الجيوش بإسبانيا من 212ق.م أو 211ق.م إلى خريف 206ق.م. و قد أدى و هو على رأس فرسانه خدمات عديدة للجيوش البونيقية"[4].

لكن عندما توفي الملك غايا انتقل الحكم إلى أكبر شخص بالعائلة هو أخوه "أوزاليس" (oezales) و نظرا لكبر سنه فمات هو بعد فترة قصيرة و خلفه ابنه الأكبر كابوسا (capussa) و لكنه كان ضعيفا عديم الجاه و استغل مازيتول (mazitol) الوضع و قتله و وضع أخوه لاكوماز[5] (lacumaz) الذي ينتمي إلى العائلة الحاكمة و اكتفى بالوصاية عليه[6].

(1)فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص 60،61.

(2)**تيتيوس ليفيوس**: (59ق.م-17ق.م) مؤرخ روماني عاصر روما في العهد القديم و الجمهوري أرخ لتلك الفترة في نصوص كاملة تلقى علوم البلاغة و الفلسفة من أهم مؤلفاته: تاريخ روما.أنظر: العربي العقون، **المؤرخون القدامى** غايوس ساليستيوس (86ق.م-33ق.م)، حرب يوغرطة، دار الهدى، الجزائر، 2006،ص21،20.

(3) مُحَمَّد فنطر، المرجع السابق، ص43.

(4)ستيفان قزال، المرجع السابق،ج3، ص167.

(5) مُحَمَّد الهادي حارش، **التطور السياسي و الاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش حتى وفاة يوبا الاول (203ق.م-46ق.م)**، دار هومة، الجزائر،2014،ص15.

(6)مُحَمَّد الهادي حارش، **مملكة نوميديا** دراسة حضارية، دار هومة، الجزائر، 2013، ص42.

لقد كان مازيتول يكره ماسينيسا و عائلته كثيرا و أقدم على التقرب من قرطاجة و توطيد علاقة صداقة وصلت إلى المصاهرة حيث أنه تزوج بإحدى بنات حنبعل[1] و كان هدفه هو أخذ احتياطاته ضد ماسينيسا[2]. و كان ماسينيسا آنذاك بإسبانيا فقد توفي أبوه أيام إقامته بها[3] و كابوسا و على أن مازيتول مستحيل أن يقدم على فعل كهذا من دون مساعدة و أن قرطاجة و سيفاكس لهم يد في الأمر[4].

و كانت ردة فعل ماسينيسا أن يغادر اسبانيا عبر موريتانيا سنة 206ق.م و كان منذ مدة يبحث عن سبب للتخلي عن القرطاجيين و حاول صدر بعل[5] لكنه هرب[6] و استعان بملك المور[7]"باجا"(Baga) الذي أمده أمده حوالي أربعة آلاف فارس لعبور مملكة سيفاكس[8]. و شن الحرب على مازيتول و هذا الأخير استنجد بسيفاكس و تلقى منه فيلق يتكون من 15000 من المشاة و 1000 من الفرسان المسلحين أما ماسينيسا الذي كان عدد جيشه قليلا جدا بالنسبة لجيش مازيتول إلا أن النصر قد حالفه و يرجع السبب في هذا إلى حصوله على خبرة حربية خلال حروبه ضد الرومان في اسبانيا و هنا حقق ماسينيسا النصر ضد "مازيتول" و "سيفاكس"و من هنا فر مازيتول من مملكة نوميديا الغربية و مع تلك الأوضاع طلبت قرطاجة من سيفاكس أن تتصدى لماسينيسا بقتله أو طرده بحكم المصاهرة و هذا ما حدث فعلا و طرده مع مجموعة من أنصاره إلى الأقاصي البعيدة من خليج السرت و في هذه اللحظة اتصل ماسينيسا بالرومان من أجل نقل الحرب لشمال افريقيا سنة 203ق.م[9].

(1)**حنبعل**: قائد قرطاجي ابن هاملكار برقة رافق والده إلى إسبانيا و هو في سن التاسعة من عمره استلم قيادة القوات القرطاجية في إسبانيا في 221ق.م احتل إيطاليا في 218ق.م و حقق انتصارات متتالية على الرومان في معارك مختلفة أهمها كان الانتصار الذي حققه في معركة كاناي سنة 216ق.م و يفسر حنبعل حسب ما أورده ديون كاسيوس(أول من عبر جبال الالب بجيشه و زف لمدينة روما بالقوة و الترغيب).أنظر: ذهبية سي الهادي، المرجع السابق،ص 36.

(2)M.l LA CROI ET h.jYanoski et autres, Histoire de LaNumidie et LaFrique, T :III,(sans lieux), 1844,p15,16.

(3) محمد فنطر، المرجع السابق، ص44.

(4) محمد الصغير غانم، (**مقالات**...)، المرجع السابق، ج2، ص132،131.

(5)**صدر بعل**:من عائلة آل برقة و أخ حنبعل شارك معه في الحرب البونية الثانية. أنظر: عبد المنعم محجوب، **ليبيا القديمة**، دار الاتحاد، تونس، 2018، ص40.

(6) M.L la croix et M.J Yanoski et d'autres, opcite, P15.

(7)**المور**: أول من أطلق عليهم الاغريق اسم موريتانيا للدلالة على الرقعة الجغرافية الاكثر بعدا بالنسبة لبلادهم من ليبيا أو التي تقع أقصى الغرب و كانت لفظة الموري من طرف الرومان و تقع في القسم الغربي لبلاد المغرب و سكنوا بجوار نهر ملوية.أنظر: محمد البشير الشنيتي، **التغييرات الاقتصادية و الاجتماعية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال الروماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984، ص157،158.

(8) فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص64.

(9) محمد الصغير غانم، (مقالات...)، المرجع السابق، ج2،ص132.

و في نفس الوقت الذي قام به ماسينيسا للاتصال بـ"سكيبيو الأفريقي"[1](ScipionAfricanus)لمجابهته ضد قرطاجة كان هو أيضا يبحث عن حليفا له في بلاد المغرب من أجل نقل الحرب لشمال افريقيا لأنه لم يكن يرغب في ارتكاب نفس الخطأ الذي وقع في "أغاثوكليس"[2]و"ريغولوس"[3](Regulius) اللذان خاضا مغامرة دون أن أن يسعيا أولا لتأمين المساعدة و التعاون من افريقيا[4] نفسها[5]. هذا من ناحية و جعل المنطقة مخزونا اقتصاديا اقتصاديا لروما كبداية للهيمنة الرومانية من ناحية أخرى[6].

و قد ارتبطت مصالح ماسينيسا مع الرومان و ظهر ذلك واضحا من خلال رسالة ماسينيسا للقائد الروماني سكيبيو التي تتضمن استعداده للتحالف مع الرومان ضد قرطاجة[7] بشرط استرداد أملاك أجداده من القرطاجيين القرطاجيين في حالة انتصار الرومان و قد وافق القائد الروماني على ذلك لحاجته لمثل هذا التحالف[8].

(1)**سكيبيو الافريقي**: قائد روماني(235-183ق.م) عين عام 211ق.م نائب قنصل على إسبانيا فاحتل قرطاجة لم يتمكن من منع صدربعل من اللحاق بحنبعل في إيطاليا و لكنه فتح اسبانيا الجنوبية و جمد القرطاجيين في قادش ثم استولى على المدينة و في عام 202ق.م هزم حنبعل في معركة زاما. أنظر: هنري س عبودي، المرجع السابق، ص477.

(2)**أغاثوكليس**: قائد إغريقي قام بحملة عسكرية على سواحل ليبيا خلال 310-307ق.م. أنظر: بولخلوخ مُحَّد، **التنظيم العسكري لمملكة نوميديا من سنة 220ق.م إلى 46ق.م**، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الانسانية، بوزريعة، 2014،ص28.

(3)**ريغولوس**: قائد روماني اشتهر باخلاصه و صدقه انتصر على القرطاجيين في عدة معارك برية، طلب القرطاجيين الصلح و لكن الشروط الرومانية كانت قاسية بحيث اضطر القرطاجيين مواصلة القتال فأحرزوا النصر النهائي، أرسل القرطاجيين ريغولوس إلى روما للتداول في أمر استرداد الاسرى و عقد الصلح. أنظر: هنري س عبودي، المرجع السابق، ص460.

(4)**افريقيا**: ورد في الموسوعة العالمية أن افريقيا قد يكون مشتقا من الجذر السامي فرق و الذي يعني قسم و هذا ما .....المؤرخون العرب في العصر الوسيط من أمثال بن خلدون من أن بطلا أسطوريا سمي افريقش أعطى اسمه لهذه المنطقة في غرب البحر لكن المصطلح أضخم من العصر الوسيط إذ تعود بداياته إلى الكتاب الرومان الذين أطلقوه على الاراضي التي احتلوها من طرابلس إلى المحيط الاطلسي حتى أصبح يطلق على كل القارة عوض اسم ليبيا عند الاغريق.أنظر: قعر المثرد السعيد، **الزراعة في بلاد المغرب القديم**، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الانسانية، جامعة قسنطينة، 2007، ص10.

(5)Fantar et Decret, l'Afrique du nord dans l'antiquité, édition payot, paris, 1981, p103.

(6) توفيق مسعود راشد، **سياسة الرومان في نوميديا و علاقتها بأمراء المحليين بعد تدمير قرطاجة سنة 146ق.م**، كلية الآداب و العلوم، الاصابعة،(د ت)، ص64.

(7)**قرطاجة**: تأسست سنة 814ق.م على يد الفينيقيين في الموقع الذي يمتد إلى جانب صخري طرفه الذي يشكل رأس قرطاجة نحو الشرق.أنظر: حسن بلعيد، "سياسة روما اتجاه المقاطعات التابعة لها خلال القرنين الثاني و الأول ق.م"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج6،عدد13،2013،ص77.

(8) توفيق مسعود راشد، المرجع السابق، ص64.

لقد أدرك القرطاجيين حجم العداوة بين سيفاكس و ماسينيسا لذلك أوكلوا للأول مهمة القضاء على الثاني و هو ما قام به سيفاكس من خلال تكليف أحد قادته و هو "بوكار" (Bouchar) بملاحقة ماسينيسا[1]. قد تمكنت قواته من تحقيق الانتصار على قوات ماسينيسا الذي كاد يفقد حياته خلال هجوم سيفاكس المفاجئ على مملكته و قد انسحب على المناطق الواقعة تحت سيطرته و التحق مع قواته المتبقية بالقائد الروماني سكيبيو الذي نزلت قواته بالقرب من أوتيكا[2].كان هدف القائد الروماني و حليفه ماسينيسا هو القضاء على سيفاكس و جيشه قبل الاشتباك مع القرطاجيين و من ثم قطع الإمدادات عن القرطاجيين، فاتجهت القوات الرومانية و الفرسان النوميديين نحو مدينة سيرتا لمواجهة قوات سيفاكس التي قسمت إلى قسمين:

أ/ قوات يقودها ماسينيسا و القائد الروماني "لاليوس"(Lalius)[3]و تتكون هذه القوات من الخيالة النوميدية و الخيالة الرومانية و مهمتها مطاردة قوات الملك "سيفاكس".

ب/ قوة يقودها القائد الروماني سكيبيو و تتكون من فرقة المشاة الرومانية و مهمتها الاستيلاء على المدن و القرى النوميدية حيث اشتبكت مع قوات سيفاكس في معركة عرفت باسم معركة السهول الكبرى 203ق.م و قد تمكن الرومان و حليفهم ماسينيسا من هزيمة قوات سيفاكس و أسره و نقله إلى روما. أما زوجته "صافونيزبة" فحاولت التقرب من ماسينيسا لعرضها الزواج منه حتى لا تقع في قبضة الرومان و قد وافق ماسينيسا على ذلك لكن القائد الروماني سكيبيو خشي أن تأثر زوجة سيفاكس على ماسينيسا في التحالف بينه و بين الرومان باعتبارها قرطاجية فقرر أن تصبح مثل بقية الأسرى مِلكا للشعب الروماني و عندما سمعت بذلك فضلت أن تموت بالسم بدلا أن تقع في قبضة الرومان، إذا استطاع ماسينيسا أن يوحد أرض آباءه نوميديا للمرة الثانية بعد سيفاكس في إطار جغرافي من خليج السرت إلى نهر الملوشة على حدود مملكة المور و رفاف الصحراء جنوبا وحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط[4].

(1) جمال مسرحي، المرجع السابق، ص25.

(2) توفيق راشد مسعود، المرجع السابق، ص65.

(3) **لاليوس**: هو قايوس لاليوس(235-160ق.م) رافق سكيبيو في حملاته في اسبانيا و صقلية و افريقيا و كان صديقه المقرب.أنظر: ذهبية سي الهادي، المرجع السابق، ص38.

(4) توفيق راشد مسعود، المرجع السابق، ص65-67.

و عند قيام الحرب البونيقية الثالثة فقد ساهم ماسينيسا في هذه الحرب على رأس قوة من الفرسان النوميديين بقدر حوالي أربعة آلاف فارس، تمكن القائد الروماني سكيبيو بمساعدة الفرسان النوميديين من تحقيق الانتصار على قرطاجة و فرض شروط قاسية عليها كان من بينها عدم شن الحرب دون موافقة روما و أن ترجع إلى ماسينيسا أراضي أجداده إلا أن قرطاجة وقفت ضده و طلبت من روما التدخل لحل خلافها مع ماسينيسا و الحد من اعتداءاته. غير أن مجلس الشيوخ الروماني طلب من قرطاجة تسليم الإقليم لماسينيسا و دفع تعويض له[1]،و قد قوبل بالرفض و حتى أثناء عودة الوفد ماسينيسا تعرضوا للهجوم فكان أحد الأسباب التي أدخلت قرطاجة و ماسينيسا في حرب سنة 150ق.م و كان هذا خرقا للقانون المتفق عليه في اتفاقية زاما سنة 201ق.م[2].

و خلال الحرب البونية الثالثة توفي الملك ماسينيسا سنة 148ق.م دون أن يشهد تدمير قرطاجة التي أطلق عليها الرومان ولاية افريقيا الرومانية[3] (AfricaRomanaProvincia) كأول ولاية ضمت إلى روما و نظرا لخشية الرومان من طموحات الملوك في شمال افريقيا اتخذوا العديد من الخطوات منها إقامة تحصينات عسكرية تفصل بين الولاية الرومانية و بقية المناطق التي لم تخضع للنفوذ القرطاجي في شمال افريقيا، من أشهرها الخندق الملكي[4].

(1) توفيق سعود راشد، المرجع السابق، ص ص 65-67.

(2)مُحَمَّد الهادي حارش، (التطور...)، المرجع السابق، ص39.

(3)توفيق سعود راشد، المرجع السابق، ص67.

(4)**الخندق الملكي**: يعرف باسم فوسا ريجيا قام بع سكيبيو الايميلي بعد القضاء على قرطاجة ليكون الحد الفاصل بين قرطاجة و نوميديا.أنظر: مُحَمَّد البشير الشنيتي، **نوميديا و روما الامبراطورية تحولات اقتصادية و اجتماعية في ظل الاحتلال**، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2012،ص23.

3/ علاقة الملك ماسينيسا بروما:

إن ظهور العلاقات بين نوميديا و روما كان في إطار الصراع بين أكبر قوتين في الحوض المتوسط و هما قرطاجة و روما بحيث سعى كل طرف إلى بسط نفوذه و سيطرته على المتوسط و حفاظ كل طرف على مصالحه و لجأ المتصارعان إلى البحث عن تحالفات و ذلك لضمان الدعم و المساندة و بالمقابل كانت تتوافق مع طموحات الملوك النوميد في تأسيس مملكة قوية قائمة على ركائز متينة تسمح لهم بأن يكون لهم دور في الحوض المتوسط. لكن هذه الأوضاع التي مرت بها منطقة البحر المتوسط جعلت من طبيعة العلاقات العسكرية تتسم بالتباين من فترة إلى أخرى و ذلك تماشياً مع تطورات التي تشهدها كل فترة و التي كانت تتحكم فيها قوة و ضعف الدول المتصارعة فيما بينها و بالأخص قرطاجة و روما، و التي جعلت مملكة نوميديا محل استناد كبير في الحوض المتوسط. إن العلاقات التي جمعت نوميديا مع روما كانت نتيجة حتمية العلاقات القرطاجية النوميدية فقد عرفت قرطاجة صراع مع غايا و هذا نتيجة التوسع القرطاجي على حساب أراضيهم و محاولة الاستيلاء على بعض المدن التابعة لهم إلا أن الظروف التي كانت تمر بها قرطاجة أدركت ما كانت تقوم به و عدّلت في سياستها فأول خطوة قامت بها التنازل لـ"غايا" عن الأراضي المتنازع عنها مقابل مناصرتها في الحرب ضد روما بحيث وضع جنوده على رأسهم ماسينيسا في خدمة قرطاجة و التي كان حليفاً لها[1]. لقد طرأ تغير كبير على سياسة التحالفات في تلك الفترة حيث تحول سيفاكس إلى حليف القرطاجيين بعد أن كان قد بدأ يميل نحو الرومان بينما أصبح ماسينيسا معاديا لقرطاجة و للملك سيفاكس، يرى الكثير من المؤرخين أن سبب ذلك الانقلاب و التحول المشار إليه كان ناتجين عن تلك الزيجة التي تمت بين الملك سيفاكس و الأميرة القرطاجية "صافونيزبة"(Saphonisbe). غير أننا لا يمكن الأخذ بهذا الرأي و السبب حيث أن ماسينيسا بدأ يخوض غمار تلك السياسة قبل زواج لملك سيفاكس من الأميرة القرطاجية فقد كان هذا الزواج سياسيا بالدرجة الأولى[2].

و أن الأسباب التي أدت إلى تحوله من صف قرطاجي إلى صف روماني كان لأسباب عسكرية تمثلت في وفاة والده "غايا" فقد استغل الرومان موت هذا الأخير لاستمالة ماسينيسا الذي اتصل بالرومان و لم ينتظر أن تلتمس روما دعمه و بهذا يكون ماسينيسا قد قام بالخطوة التي انتظرتها روما منه[3].

(1) توريت مصطفى،"طبيعة العلاقات العسكرية و الاقتصادية بين روما و نوميديا ما بين 203-46 ق.م"، مجلة البحوث التاريخية، مج01،عدد02، جامعة محمّد بوضياف، مسيلة،2017، ص74،75.

(2) جمال مسرحي، المرجع السابق، ص21.

(3)ذهبية سي الهادي، المرجع السابق، ص90.

و الظاهر حسب الشنيتي أن سكيبيو لم يجد صعوبة كبيرة في إقناع الأمير ماسينيسا بوجهة نظر الرومان و إغرائه بالتعاون معه لاستعادة مملكة والده من مغتصبيها و حلفائهم، حيث أن التحالف قد تم بين الأمير ماسينيسا و القائد سكيبيو بسرعة أي في نفس السنة التي جرت فيها الأحداث بنوميديا في 206ق.م مما يشير إلى سرعة تحرك الدبلوماسية الرومانية و فعالية هذا التحرك في استغلال الظروف المواتية. لقد تضمن التحالف خطة للعمل العسكري المشترك بين الرومان و الأمير النوميدي على المنطقة كلها و على التخوم القرطاجية خاصة و من ثم الاتفاق على أنم يكون إنزال الجيوش الرومانية في شواطئ نوميديا الشرقية حيث يكون ماسينيسا في الانتظار بعد أن يمهد للحملة الرومانية في المنطقة سياسيا و عسكريا و من ثم ينطلق النشاط العسكري الروماني النوميدي ضد القرطاجيين و حليفهم سيفاكس. و بعد رسم خطة هذا المشروع غادر كل من القائد سكيبيو و ماسينيسا فتوجه الأول إلى روما للحصول على منصب القنصلية مجدداً بينما اجتاز الثاني مضيق أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق حاليا) للوصول إلى نوميديا الشرقية بمساعدة الملك الموريتاني "باغا"(Baga). لقد أسفر التحالف الذي جمع بين سكيبيو و ماسينيسا قبل افتراقهما في اسبانيا عام 206ق.م عن نتائج منها معركة السهول الكبرى 203ق.م (TheGreat Plains) و التي وضعت حدا لنشاط سيفاكس الذي وقع في قبضة ماسينيسا، و تلتها معركة زاما 202ق.م (Zama) و التي أسفرت عن هزيمة القرطاجيين[1]. (انظر ملحق رقم (01) ص 70)

أستطيع القول أن ماسينيسا قد برز في هذه الحرب و أنه صانع الانتصار في زاما حيث كانت فكرة الأبواق خطته و ذلك لخلق ضجة و بث الرعب في الفيلة بالأبواق لإحداث الخلل في صفوف حنبعل. هنا اختلطت حسابات حنبعل في تنظيم جيشه هذا ما أدى إلى خسائر في الحرب و بالتالي انهزامه، كل هذه المساعدات التي قدمها ماسينيسا للرومان كانت بغية تحقيق مصالحه، هذه العلاقات السلمية المتينة ساعدته للوصول إلى الحكم و استرجاع أملاك أجداده.

بالرغم من هذه العلاقات السلمية الوثيقة التي جمعت بين الطرفين إلا إننا نرى اصطدام مصالح ماسينيسا مع مصالح الرومان فبعد أن وفرت روما أسباب دائمة للعداء بين قرطاجة و نوميديا أملت من ذلك أن تكلف ماسينيسا بإضعاف القرطاجيين عن طريق تقليص مناطق نفوذه لكن حدث و أن أصبح ماسينيسا بدوره قويا و أشرف على مدينة قرطاجة نفسها بعد انتصاره العسكري كان يريد أن يجعل من قرطاجة عاصمة لمملكته فقد كان مسعاه لتحقيق هذا البرنامج سببا في دمار قرطاجة فكان لابد أن لا يصبح ماسينيسا مسيطرا على قرطاجة و أن مصلحة روما تكمن في تدمير قرطاجة و انتزاعها من ماسينيسا و ذريته من بعده[2].

(1) محمد البشير الشنيتي، المرجع السابق، ص ص26-29.

(2) ذهبية سي الهادي، المرجع السابق، ص92،91.

بتدمير قرطاجة اعتقدت روما أنها ستضعف المملكة النوميدية و لهذا ترقبت روما الفرصة المواتية لتدمير قرطاجة بعد أن منح ماسينيسا الذريعة لإعلان الحرب البونيةالثالثة و ذلك عند إقحامه قرطاجة في حرب بعد أن أجبرها على رفع السلاح و الدخول في معركة ضده. إن الحرب البونية الثالثة قد أخلطت حسابات ماسينيسا الذي اعتقد أن روما لن تدخل في حرب رسمية ضد قرطاجة و أن مسألتها مسألة افريقية بحتة و لهذا فإنه سيبعد التدخل الروماني في الأمر كما أن ماسينيسا لم يفكر في خوض الرومان في حرب دون أن تطلب إمكانياته و دعمه لا سيما و أن روما كانت مطلعة على خصاله العسكرية، كما كانت على دراية بسياسته الإفريقية[1].

و من هذه النقطة يتبين لي أنه بعد إعلان روما الحرب البونية الثالثة على قرطاجة أدى إلى توتر العلاقات بين الطرفين حيث أن هذه الحرب المعلنة كانت موجهة بالأساس للقضاء على مشروع ماسينيسا و ليس بالقضاء على قرطاجة في حد ذاتها، أيضا الذي أدى إلى توتر هذه العلاقات أن روما لم تعد بحاجة إلى دعم ماسينيسا حيث تظهر خيبة أمله في روما في رد فعله على طلب الرومان بقوله بأنه سيقدم الدعم للرومان في الظرف الذي سيراه مناسباً، كما أن اقتراح الملك النوميدي لم يحظى باهتمام الرومان الذين أجابوه بأنهم سيطلبون دعمه عندما يرون ضرورة لذلك.

رأينا كيف كانت العلاقات السلمية الوثيقة التي جمعت بين الطرفين قبل اصطدام مصالح كل منهما و بالرغم من التوتر الذي جمع بين ماسينيسا و الرومان إلا أننا لاحظنا أنه لم تحدث قطيعة في عهد خلفائه بدليل ابنه مكيبسا الذي وطد علاقاته مع الرومان.

II: مكيبسا و علاقته بالرومان

ترك ماسينيسا بعدوفاته أولاد كثيرين و أبرزهم ثلاثة "غلوسا" و "مستنبعل" و "مكيبسا" الذي شهد هذا الأخير علاقات ايجابية مع الرومان و التي سنتطرق إليها فيما بعد.

1/ تقسيم السلطة:

لقد ترك ماسينيسا بعد وفاته سنة 148ق.م مملكة نوميديا في أقصى اتساع لها فهي تمتد من السرت شرقا إلى نهر الملوية غرباً كانت أول دولة في تاريخ الجزائر خاصة و تاريخ المغرب الكبير عامة بلغت المستوى الرفيع من القوة و الازدهار[2]، و يفهم من المصادر أن ماسينيسا كان يشعر بالخطر الذي يهدد المملكة من بعده[3].

(1) ذهبية سي الهادي، المرجع السابق، ص91،92.

(2)نفسه، ص85.

(3) محمد البشير الشنيتي، **الاحتلال الروماني لبلاد المغرب** (سياسة الرومنة 146-40م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985،ص30.

حسب بعض المؤرخين تفطن الملك النوميدي في آخر حياته لخبث الرومان و استغلالهم له لتحقيق مآربهم[1]. لكن إذا كان ماسينيسا فعلاً قد تفطن لخبث الرومان في آخر أيام حياته كيف نرى أنه تم تنظيم شؤون مملكة نوميديا من بعده من مساعدة القائد سكيبيو و استدعائه و هو على فراش الموت؟ كيف يفسر قرار ماسينيسا إذن؟ و لماذا لم يعمل بالتقاليد النوميدية المتمثلة في اعتلاء أكبر أفراد العائلة العرش عند خلوه؟ هل هذا يعبر عن مدى ولائه للرومان؟ أم أن سنه هو الذي أفقده القدرة على التمييز بين الصواب و الخطأ؟ الواقع أنه عندما حضر ماسينيسا الموت[2] استدعى القنصل الروماني سكيبيو إيميليانوس[3](Scipion Emiliunus)إلى عاصمته كيرطا[4]. كان آنذاك سكيبيو يحاصر قرطاجة (148ق.م) و لكن الموت عاجله قبل وصول هذا الممثل الروماني فترك مقاليد الحكم موزعة في الظاهر بين أبنائه الثلاثة و هم "مكيبسا" و "غلوسا" و "مستنبعل"[5].

و حول تقسيم السلطة بين الإخوة اختلفت الآراء، فالرأي الأول يرى البعض أنها تمت طبقا لوصية ماسينيسا التي حفظها عند سكيبيو لكي يقسم السلطة بين أبناءه. أما الرأي الثاني فيرى أن هذا التقسيم كان من اقتراح سكيبيو نفسه الذي أراد بهذا التقسيم تفكيك الحكم الموحد[6] و خلق التفرقة بينهم و من ثم تسهيل سيطرة روما على الأراضي النوميدية[7].

(1)محمد الحبيب بشاري، "علاقة روما بالممالك الافريقية بعد زوال قرطاجة"، مج12، العدد1، جامعة الجزائر2، الجزائر، جوان2012، ص50.

(2) محمد البشير الشنيتي،"قضيةالسيادة النوميدية من خلال المصادر القديمة"، مجلة الدراسات التاريخية، مج3، العدد02، جوان1988 ، ص39.

(3)**سكيبيو إيميليانوس**: قائد عسكري روماني من مواليد 184ق.م في مدينة روما توفي سنة 128ق.م و يعد حفيدا لسكيبيو الافريقي و هو قائد الحرب البونية الثالثة.أنظر: ابراهيم نصحي، **تاريخ الرومان**، ج2، ط2،(د م ن)، 1978، ص340.

(4) عبد العزيز عبد الفتاح الحجازي، **روما و افريقيا من نهاية الحرب البونية الثانية إلى عصر الامبراطور أغسطس**، ط1، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، 2007، ص82.

(5) محمد البشير الشنيتي، (**قضية السيادة**...)، المرجع السابق، ص39.

(6) فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص142.

(7) عمار عمورة، **الموجز في تاريخ الجزائر**، ط1، دار ريحانة، الجزائر، 2002، ص23.

و قد أشار زوناراس أنه قد عهد إلى ابنه الأكبر مكيبسا بالخاتم الذي يرمز للسلطة و القيادة، و يمكننا تصديق زوناراس لو رجعنا إلى نظام الوراثة المعمول به في نوميديا الشرقية و هو حق السلطة للفرد الأكبر سنا في العائلة الحاكمة،أما الخروج عن القاعدة المتعامل بها منذ الأجيال و إسناد الحكم إلى ثلاثة من الملوك خلال فترة حكم واحدة فيمكن البحث عليه من خلال عدة افتراضات، أولها يمكن أن يعود لشخصية الملك مكيبسا و الذي قال عنه أبيان أنه كان متسامحا و أنه فيما بعد أوصى بأن يكن يوغرطةمن ضمن ورثته الشرعيين لكن هذا الافتراض لم يثبته التاريخ النوميدي خلال الثلاثين عاما التي حكم فيها مكيبسا فقد أثبتت أنه كان جديرا بإدارة نوميديا.

أما السبب الثاني فيرى البعض أنه من عمل مجلس الشيوخ الروماني فقد أرغموا ماسينيسا قبل وفاته على الموافقة على هذا التقسيم عملا بمبدأ فرق تسد و يرى بيكار بعد مقارنته بين النظام الإداري لمدينة مكثار و نظام تقسيم السلطة بينالإخوة الثلاث أنه جاء وفقا لتقليد نوميدي قديم كان يتعامل به في المدن على عكس القبائل[1].

أما السبب الثالث فيعود إلى أن هذا النظام كان معروفا في العصر الهلنستي و وضع أساسه الفرس ثم أخذها إسكندر[2] و طبقه في مصر بعد فتحها. أما السبب الرابع و الأخير تشير إلى أن ماسينيسا لم يوكل الخلافة و أن وجود وصية مسبقة أودعها ماسينيسا لدى سكيبيو ليشرف على تنفيذها دعوة مشكوك في صحتها و يرجع النظر في السبب الحقيقي لمجيء سكيبيو إلى المنطقة إلا من أجل طلب العون العسكري و الحرب من نوميديا التي كانت حليفا قويا ضد قرطاجة التي كانت تعد للحرب البونية الثالثة فحسب فتيحة فرحاتي ربما اشتم سكيبيو بأنفه السياسي و العسكري رائحة الصراع لو نشب سيكون من شأنه أن ينشغل داخليا فيما يعوقها على خدمة مصالح الرومانية في المنطقة و رآه سكيبيو هو إشراك كافة البارزين الطامعين في الحكم أي في السلطة و القيادة، قد أقنع النوميديين و بهذه الصورة الثلاثية من صور القيادة في الحكم التي هي إحدى مظاهر أسلوب الحكم في العصر الهلنستي[3].

(1) فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص 142-143.

(2)**اسكندر**: (356-323ق.م) ابن فيليب الثاني ملك مقدونيا (336-323ق.م) تعلم على يد أرسطو، تسلط اسكندر على بلاد الاغريق و زحف إلى آسيا الصغرى. أنظر: س.هنري عبودي، المرجع السابق، ص119.

(3)فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص143.

بأمر من سكيبيو الايميلي[1]تم تقسيم السلطة في نوميديا بين أبناء العاهل النوميدي الثلاثة[2] أما الابن الأكبر مكيبسا فقد تولى الإدارة و جعله على رأس العاصمة و هي سيرتا و أما غلوسا فقد أخذ قيادة الجيش و أما مستنبعل فقد عهد بمسؤولية القضاء[3] و قد حمل كل من الإخوة الثلاث لقب الملك.

غير أن الاخوة الثلاثة لم يتفقوا بالفعل حيث بدأت الخلافات تدب بينهم لأنهم اتهموا أحدهم و هو مكيبسا بالولاء الأعمى للرومان و حاولوا أن يضموه إليهم في القضاء على الفيالق الرومانية التي هدمت قرطاجة و التي أراد أبوه ماسينيسا أن يجعل منها عاصمة للمملكة النوميدية غير أن مكيبسا إما احتراما لالتزاماته أو تعهداته للرومان إما خوفا لتفويض ما بناه أبوه فقد عارض أي خلاف مسلح مع الرومان.و ماتا "غولوسا" و "مستنبعل" في ظروف غامضة بعد سنتين من وفاة والدهما تقريبا في عام 146ق.م[4] حيث ورد عند المؤرخ ساليست سبب الوفاة هو المرض بقوله" بعد ذلك ورث المملكة ابنه مكيبسا وحده لأن أخويه"مستنبعل" و "غلوسا" مرضا و توفيا"[5].

إلا أن فتيحة فرحاتي ترى بأن هذه الوفاة العاجلة ذات الظروف الغامضة التي مني بها غلوسا و مستنبعل ما يشهد على وجود صراع على السلطة و هو الصراع الذي أراد سكيبيو أن يساعد النوميديين على تجنبه بواسطة الاشتراك في الحكم و السلطة فلقد كان مكيبسا من أنصار الحلف الروماني بغض النظر عن مناقشته الأهداف التوسعية و الاستيطانية للرومان في المنطقة بينما كان لـ"غلوسا" و "مستنبعل" وجهات نظر أكثر استقلالية و وطنية ذهبت لحد رح بفكرة المجابهة العسكرية ضد الرومان على بساط البحث و التنفيذ و كان لابد من حسم الأمر في شأن هذه المعارضة سريعا كما لا يستبعد أن يكون للرومان يد في التخلص من هذه المعارضة النوميدية لأنها استهدفت وجودهم و دورهم في المنطقة فجاءت وفاة الأخوين في وقت متقارب و في ظروف غامضة[6].

(1)فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص144.

(2) محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص51.

(3) شارل أندري جوليان، **تاريخ شمال افريقيا**، تع: محمد مزالي،ج1،ط1، مؤسسة تاوالت الثقافية،المغرب، 2011،ص125.

(4)فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص 144،145.

(5)سالستيوس، المصدر السابق، فقرة05.

(6)فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص145.

و حول الظروف الغامضة لمقتل الأخوين أستطيع أن أقول بأن وفاة الأخوين بسبب المرض في آن واحد أمر مستبعد الحدوث و ليست صدفة بل تخطيطا من الرومان كونهم التمسوا مصلحتهم في مكيبسا أكثر من الأخوين و أنهم سيشكلون عاقبة أمام طموحات رومان لذلك سعت للتخلص منهم لتحقيق سياسة فرق تسد المعروفة عند الرومان و بهذا أرى بأن المملكة كانت تحت تبعية الرومان بشكل غير مباشر و الدليل تدخلها في مسألة العرش و القضاء على الإخوة.

2/ نشأة مكيبسا و إسهاماته:

أ- نشأة مكيبسا:

إن اسم مكوسن أو مكواسن (M K W S N) كما ورد في النقوش الأثرية هو الاسم الحقيقي له بالنطق الليبي، و هو اسم الشهرة يدل دلالة العظمة و الرياسة و ورد اسمه في الكتابات اللاتينية على الشكل التالي مكيبسا (MICIPSA) و اللغة الفرنسية مسيبسا[1]. كما نجده أيضا عند كامبس قد كتب اسمه هكذا (م ك و س ن) أي مكوسن (M K W S N)[2]، كماتشير المصادر التاريخية إلى أن مولد مكيبسا كان حوالي 200ق.م غير أننا لا نعرف الكثير عن طفولته و كل الذي وصل إلى المؤرخين هو أنه تربى في كنف والده ماسينيسا و تتلمذ على يده في الأمور الخاصة بما يتعلق بالحكم و السياسة[3]. و عاش بمدينته بين الأدباء و الفنانين الإغريق[4] و أشار سترابون[5]إلى أن الملك مكيبسا يولي أهمية كبيرة للعلماء و المثقفين و غالبا ما يقضي أوقات فراغه في دراسة الفلسفة[6]. (انظر ملحق رقم (02) ص71)

(1)تيغرمين المجيد، المرجع السابق، ص53.

(2) قابرييل كامبس، المرجع السابق، ص227.

(3) تيغرمين المجيد، "الملك مكوسن من خلال النقوش الاثرية(148-118ق.م)"، مجلة كان التاريخية، العدد30، ديسمبر 2015،ص 52.

(4) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص125.

(5)**سترابون**: ولد في أماسيا على سواحل بحر مرمرة حوالي سنة 63ق.م و هو ذو أصول اغريقية واصل تعليمه بروما حوالي 44ق.م. أنظر، علي فهمي خشيم، **نصوص ليبية**، ط2، دار مكتبة الفكر، طرابلس، 1975، ص58.

(6) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص125.

أما بالنسبة لإسهاماته كملك فلم يحض مكيبسا باهتمام كبير من طرف المؤرخينالإغريق و الرومان مما دفع بعض المؤرخين إلى تقديمه في صورة الملك الضعيف الخاضع للرومان أما حارش فلا يستبعد أن يكون هذا الصمت ناتج عن سيادة الاستقرار في نوميديا خلال فترة حكمه فطيلة 30 سنة من حكمه استطاع السيطرة على المملكة التي تركها ماسينيسا و الممتدة من السرت شرقا إلى نهر الملوية غربا و لم تذكر المصادر أي خلاف مع جيرانه من الشرق أو الغرب فقط احتفظ بالعلاقات الودية مع موريتانيا و الرومان و لم يرد ذكر لثورات داخلية محلية في عهده[1].

يشير مبارك الميلي في هذا الصدد بأن الملك مكيبسا سار بهذه الدولة الواسعة سيرة محمودة و دبرها تدبيرا رشيدا فعاش البربر تحت عنايته سعادتهم عيشا رغدا لم يرم بهم في الحروب تلذذا بسعة النفوذ و لا كان يعتني بشخصه و يهمل شأن أمته فيعم الفقر و يقل الأمن و لا كان ظلوما جائرا فيضطر الناس إلى الثورة بل كان سياسيا و حاكما عادلا[2]. رغم تخلي مكيبسا عن سياسة والده التوسعية فقد واصل سياسته في النهوض بمرافق البلاد الاقتصادية و تشجيع حياة الاستقرار و هو ما تأكده النقوش التي يبدو من خلالها أن الفلاحة حظيت بعناية هذا الملك[3] كما يشير سترابون إلى الازدهار الذي عرفته التجارة في عهده خاصة العاصمة كيرطا التي أصبحت مركزا تجاريا ضخما كما اهتم بالجانب العسكري و العمراني[4] حيث كانت كيرطا في جمالها و زخرفتها حصينة عالية من الأسوار و الأبراج و كانت آهلة بالعمران و السكان تستطيع أن تجند من سكانها عشرة آلاف رجل و عشرين ألف فارس و هذا دليل من الرخاء و الهناء و سعة الأرجاء في كيرطا[5]. و يشير شارل جوليان أن الملك مكيبسا قد ضرب نقودا نقودا بها صورة والده[6]. كما قد أولى قدرا من الاهتمام للمنطقة الغربية في نوميديا حيث أصبحت في عهد يوغرطة أكثر تطورا و أكثر ازدحاما بالسكان فيما لو قورنت ببقية أجزاء نوميديا[7].

(1) توريت مصطفى، المرجع السابق، ص91.

(2) مبارك الميلي، المرجع السابق، ص 186،187.

(3) مُحَمَّد الهادي حارش، **مملكة نوميديا** دراسة حضارية من أواخر القرن التاسع إلى منتصف القرن الأول ق.م، دار هومة، الجزائر، 2013، ص21.

(4) توريت مصطفى، المرجع السابق، ص92.

(5) مُحَمَّد علي دبوز، **تاريخ المغرب الكبير**، ج1، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2010، ص238.

(6) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص125.

(7) فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص189.

كما نستنتج من خلال النقوش التطور الزراعي في عهده فنقش شرشال يبين تشييده لعدة قرى و كون ضيعا ذات مدخول وافر و كذلك ظاهر هذا الازدهار في كل من باجة و دوقة و تالة و قفصة التي أصبحت المدن محصنة و ذات مداخيل وفيرة من الضرائب لخزينة الملك[1].

كما أن نوميديا قد وصلت في عهد مكيبسا إلى درجة تطور إداري وصلت به إلى حد تحديد المسافات بين المدن على الطرق التي كانت تسير عليها العربات كما أن النص المشار إليه أي نص جبل ماسوج يلقي ضوءا على التنظيم الإداري للملكة النوميدية في عهد الملك مكيبسا من جهة أخرى نلاحظ النص أن اللغة الرسمية التي كانت سائدة في عهده هي اللغة البونيقية[2]. كما استمر مكيبسا على النهج الهلنيستي الذي بدأه من قبله ماسينيسا فقد توافدت على سيرتا جاليات أجنبية كما أصبحت قبلة الأدباء و الفلاسفة الوافدين من بلاد الإغريق و إيطاليا[3].

إن عهد الملك مكيبسا يعد من أزهى العهود و أكثرها سلما و اهتماما بمجالات الحياة (الاقتصاد، العمران) و كل هذه الانجازات جعلت المؤرخ كامبس يعلق على عهد مكيبسا قائلا:" إن 30 سنة من السلم جعلت من عهد مكيبسا أكثر عهود المملكة نفعا. إن لم يكن أكثرها بريقا". أما المؤرخ هشام الصفدي فيرجع ازدياد قوة المملكة النوميدية بقيادة مكيبسا هي التي أثارت مخاوف الرومان[4].

3/ علاقة الملك مكيبسا بالرومان:

فيما يخص علاقته بروما فيذكر المرحوم بشاري أن سياسة مكيبسا لم تتغير من جهة الرومان إذ سار على خطى والده ماسينيسا فقد استمر ولائه لها و يتجلى ذلك في الدعم العسكري الذي قدمه بروما في حروبها في إطار سياستها التوسعية في كل مناطق حوض البحر المتوسط فقد أرسل مكيبسا مساعدات عسكرية لروما في حروبها بشبه الجزيرة الأيبيريةفي السنوات 143ق.م-142ق.م-141ق.م[5].

(1) توريت مصطفى، المرجع السابق، ص92.
(2)فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص147.
(3) توريت مصطفى، المرجع السابق، ص92.
(4)تيغرمين المجيد، المرجع السابق، ص54.
(5)محمد الحبيب البشاري، المرجع السابق، ص51.

كما قام مكيبسا أيضا بتلبية طلب قائد القوات الرومانية "فابيوس ماكسيموس" عندما طلب الفيلة[1] فأمده مكيبسا بعشرة فيلة و 300 فارس كما نجد أيضا خيولا نوميدية في اسبانيا سنة 142ق.م فيلة أرسلها مكيبسا إلى "كايسلوس متيلوس مصيدونكوس" و هو قنصل في شبه الجزيرة الأيبيرية[2]. و خلال حرب نومانتيا[3]، أرسل مكيبسا جيشا من الفرسان و المشاة دعما للشعب الروماني خلال حرب نومانتيا عُين يوغرطة قائد للنوميديين الذين أرسلهم إلى إسبانيا و كان يأمل أن تقضي عليه شجاعته أو وحشيته للأعداء بسهولة بعد أيام قليلة مات مكيبسا و بعد أن قام ورثة العرش بما يجب أن يفعلوه من واجبات التشريف و التعظيم وفقا للتقاليد الملكية اجتمعوا لمناقشة شؤونه[4].

و نستخلص في هذا السياق أنه عقب وفاة ماسينيسا قسم العرش بين خلفائه و كان لروما يد في هذا التقسيم كما سار أولاد ماسينيسا أيضا على خطى والدهم في تبعيتهم للرومان و هذا يتجلى في انفراد مكيبسا بالحكم و أرى أنه سار على نهج والده كما أنه يعتبر شخصية من الطبقة المثقفة و المتتبع للثقافات حسب المؤرخين القدامى و رغم تخليه عن سياسة والده التوسعية إلا أن في عهده شهد استقرارا و ازدهار طيلة 30 سنة في نوميديا.

نلاحظ مما سبق ذكره بأنه منذ وفاة الملك ماسينيسا سنة 148ق.م بدأت نوميديا تدخل تحت سطوة روما بشكل غير مباشر و يتضح هذا جليا عند تدخل القائد سكيبيو الايميلي في قضية وراثة العرش بين خلفاء ماسينيسا، حيث قام بتقسيم الحكم بين أولاده الثلاثة و كان هدفه المباشر من هذا هو إضعاف مملكة نوميديا الموحدة، و إثارة الفتنة و الانشقاق بين أولاده و هذا ما حدث فعلا. ثم نامت المشكلة مدة 30 سنة خلال فترة انفراد مكيبسا بالحكم، و لكن هذا الوضع لم يدم طويلا بحيث نرى استيقاظ المشكلة من جديد بعد وفاة هذا الأخير سنة 118ق.م و هنا تكررت قضية تقسيم العرش بين الخلفاء و برزت فيهم شخصية نوميدية مقاومة للتيار الروماني و يسجل التاريخ اسمه كأول مقاومة في التاريخ المغاربي القديم ألا و هو يوغرطة ابن الملك مستنبعل.

(1)سي الهادي ذهبية، (الملوك...)، المرجع السابق، ص215.

(2) توريت مصطفى، المرجع السابق، ص93.

(3)**نومانتيا**: مدينة بإسباني أسسها الغاليون استطاع الرومان الاستحواذ عليها بمساعدة يوغرطة عام 134ق.م. أنظر: مُحَمَّد الاسعد رزيق و نبيل عيساوي، **يوغرطة و القادة العسكريون الرومان**(118-104ق.م)، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية، الوادي، 2020-2021، ص215.

(4) ساليست، المصدر السابق، فقرة07

الفصل الثاني: بروز يوغرطة على ساحة الأحداث

I: شخصية يوغرطة

1/ مولده و نشأته

2/ خصاله و صفاته

II: تبني ميكيبسا ليوغرطة

1/ خوف ميكيبسا من وراثة العرش و سعيه للتخلص من يوغرطة

2/ تبني ميكيبسا ليوغرطة رسمياً و إلحاقه بالعرش

III: خلاف يوغرطة مع إخوته بالتبني و إنفراده بالحكم

1/ صراع يوغرطة مع هيمصال.

2/ صراع يوغرطة مع أدر بعل و توحيده لنوميديا.

لقد تميزت مرحلة ظهور شخصية يوغرطة على الساحة السياسية باضطراب و توتر في العلاقات الرومانية و كان يوغرطة مصدرها و رأينا أنه بالرغم من الصلة التي جمعت يوغرطة بالرومان منذ أيام نومانس إلا أن العلاقات النوميدية الرومانية عرفت منعرجا حاسما بوصول يوغرطة إلى دقة الحكم الذي كان أحد ملوك نوميديا بالتبني بعد وفاة الملك مكيبسا عام 118 ق.م حيث مثلت ولايته عهداً جديداً في تاريخ العلاقات النوميدية الرومانية فلم يستمر يوغرطة في محالفة الرومان بل عمل على مجابهتها حيث كان صاحب مشروع تحرري كانت بدايته هي توحيد نوميديا و ربما كانت آخرته هو طرد الرومان من كل بلاد المغرب.

I: شخصية يوغرطة

نعرج للحديث عن إحدى الشخصيات البارزة التي لعبت دورا كبيرا في منطقة المغرب القديم و هذه الشخصية الفذة المتمثلة في الأمير يوغرطة الذي سوف سنتطرق إليه بداية مع هذا المبحث.

1/ مولده و نشأته:

ولد يوغرطة بن مستنبعل[1] حوالي سنة 160ق.م[2] و جده ماسينيسا[3] الذي أوصى في وصيته أن يعيش مواطنا عاديا هذا على حد قول المؤرخ ساليست[4] لأنه من محظية[5]، و لم يصلنا إلا القليل من المعلومات حول طفولته و نشأته لعدم ورود ذلك في المصادر القديمة ما عدا إشارات المؤرخ الروماني ساليست في كتابه حرب يوغرطة[6]. لا نعرف الكثير عن تربيته و كل ما نعرفه أن مستنبعل بعث به منذ الوهلة الأولى إلى مربية ترعاه و تسهر على شؤونه و عندما توفي والده كفله عمه مكيبسا الذي حرم نعمة إنجاب الأطفال في بداية حياته[7]، و الذي أحسن إليه كما أحسن لولديه[8]، و يشير جمال السويدي إلى أن يوغرطة تلقى تعليما كلاسيكيا في عاصمة الدولة النوميدية فدرس اللاتينية أو ربما الإغريقية و بدأ تكوينه العسكري باكرا[9].

(1) مبارك الميلي، المرجع السابق، ص191.

(2) مُحَمَّد الهادي حارش، **ذاكرة الجزائر صفحات من تاريخ المقاومة الشعبية عبر العصور** (يوغرطة ما بين 160-104ق.م)، المتحف المركزي للجيش، الجزائر، 1984، ص38.

(3) جمال سويدي، المرجع السابق، ص103.

(4)ساليست، المصدر السابق، الفقرة05.

(5) **محظية**: سميت هكذا لأن مستنبعل لم يتزوج أم يوغرطة بالطريقة الشرعية بل كانت أمه جارية.أنظر: مُحَمَّد فنطر، المرجع السابق، ص 114،115.

(6) بوزيد دوة، "مقاومة يوغرطة للاحتلال الروماني (112-105ق.م)"، مجلة التمكين الاجماعي، العدد01، مج04، 2022، ص51.

(7) مُحَمَّد الصغير غانم، (مقالات...)، المرجع السابق، ج1، ص129،130.

(8) مُحَمَّد فنطر، المرجع السابق، ص115.

(9) جمال السويدي، المرجع السابق، ص103.

أما معنى اسم يوغرطة فلا يستبعد أن يكون يعني القوة و المناعة و هذا بناءا على اللهجة الأوراسية (الشاوية) "إيقور" و التي تعني الصعب و القوي[1].كما أن مصطلح اسم يوغرطة محول من كلمة "يوغرثن" و معناها بالبربرية بالبربرية يغلبهم[2]. (انظر ملحق رقم (03) ص 72)

2/ خصاله و صفاته:

كان يوغرطة منذ طفولته يتمتع بالذكاء و الشجاعة، و يحب المسائل العسكرية[3]، فقد وصفه ساليست قائلا:" عندما كبر كان يتمتع بجسد قوي و ملامح جميلة فوق ذلك عقل ثاقب و لم يترك نفسه تفسد بالبذخ و الكسل بل اتبع عادات قومه فكان يمارس الفروسية"[4]. كما أنه كان شغوفا بالرياضة يهوى رمي الحراب أي الرمح الرمح و العدو و كثيرا ما كان ينتصر على أقرانه عندما كان يتبارز معهم[5]. كان فارس الملوك في زمانه، و تميز بصفات القائد المحنك المتمرس[6]. إضافة إلى ذلك فقد كان يخصص وقتا كثيرا للصيد و كان دائما الأول و من الأوائل الذين يقتلون الأسود و الحيوانات المتوحشة الأخرى[7]. كما كان ماهرا في اجتذاب الغير[8] و على الرغم الرغم من إنجازاته الكثيرة لكنه نادرا ما تسمعه يتحدث عن نفسه[9]. (انظر ملحق رقم (04) ص 73)

عظمة شخصيته تكمن في الثبات الذي يتجلى في نفسه و تواضعه ما جعله محبوبا بين رفقائه أولا و التمتع بشعبية واسعة في صفوف النوميديين ثانيا[10]. إذ كانوا يتوسمون فيه خيرا للدفاع عن كيانهم ضد المخاطر التي كانت تحيط بهم و المتمثلة خاصة في تغلغل السيطرة الرومانية التي باتوا يحسون بها بعد تدمير قرطاجة سنة 146ق.م و تأسيس البروقنصلية الرومانية الأولى في شمال افريقيا على أنقاضها[11].

(1) مُحَمَّد الصغير غانم، (مقالات...)، المرجع السابق، ص164.

(2) عبد الله شريط و مُحَمَّد الميلي، **الجزائر في مرآة التاريخ**، ط1، مكتبة البعث، قسنطينة، 1965، ص29.

(3) Sylla.(s),Jugurtha d'hier aujourd'hui :du resistant Berbére a l'eternel jugurtha, le passe pour servite present, halid :halshs,18,sept2020,P02.

(4) ساليست، المصدر السابق، فقرة06.

(5) مُحَمَّد الصغير عانم، المرجع السابق، ص164.

(6) فتحي دردار، **الثورات النوميدية في مواجهة التدخل الروماني (111-46ق.م)**، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر2، 2015،ص46.

(7)ساليست، المصدر السابق، الفقرة06.

(8) ستيفان قزال، المرجع السابق، ج7، ص129.

(9) مُحَمَّد السيد عبد الغني، **نماذج من الكفاح الجزائري القديم ضد الهيمنة الرومانية القديمة**، المكتبة الجامعية، الاسكندرية، 1999،ص16.

(10) مُحَمَّد الأسعد رزيق و نبيل عيساوي، المرجع السابق، ص15.

(11) مُحَمَّد الصغير غانم، (مقالات...)، المرجع السابق، ص165.

لقد كان يوغرطة غيورا على البربر كلهم يحب الخير لهم جميعا و يعمل جاهدا ليكون المغرب كله قويا، سعيدا و متصفا بكل ما يورثه الصدارة بين الشعوب و يبوئه المكانة العليا التي تليق بعرقه أزكى و استعداده الكبير كما كان مخلصا لدولته كلها و للمغرب كله فأعطاها حياته و قصر عليهم جهوده فأحبه البربر و أعطوه قلوبهم و أدانوا بزعامته و رئاسته. لقد كان قوي الإرادة لا ترده العقبات و لا تضعف تصميمه و إصراره المحن و الصعوبات يزيده الفشل قوة فيكرر على مراده و الخيبة و إصراره فيهجم على غايته لا ييأس و لا يفشل فالانهزام هو الموت عنده فتراه يفر منه و يتنزه عنه[1].

هكذا كانت شخصية يوغرطة الحقيقية باعتراف أعدائه، جمع بين الشجاعة غير المتهورة و الحكمة غير الهيابة و الكياسة التي يأسر بها قلوب من يتعامل معهم من الرومان أو غيرهم[2].

نستنتج مما سبق أن يوغرطة توفرت فيه جميع الشروط و المواصفات لكي يحمل لقب الملك ويتمتع بمقومات تأهله كملك نوميدي بامتياز يختلف عن سابقيه و هذا بأفكاره التحررية حيث كان ذو هيبة و هذا بإجماع المؤرخين عامة و ساليست خاصة و الذي يعد مصدرنا الوحيد عن يوغرطة.

II: تبني مكيبسا ليوغرطة

لقد تمتع الملك يوغرطة بمجموعة من الصفات التي ميزته دون غيره من الملوك و التي جعلت اسمه يحقق شهرة واسعة هذا ما جعل مكيبسا يستبشر خيرا فيه مبدئياً غير أنه سرعان ما غير نظرته له.

1/ خوف مكيبسا من وراثة العرش و سعيه للتخلص من يوغرطة:

في البداية كان مكيبسا مسرورا بهذه الصفات لأنه اعتقد بأن شجاعة يوغرطة تستحق المجد لمملكته[3] و يرى فيه الشخصية القوية التي ستشرف العائلة المالكة[4]، كما أنه استبشر خيرا بهذه الخصال في بادئ الأمر[5].

(1) محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص233.

(2) محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص17.

(3) ساليست، المصدر السابق، الفقرة06.

(4) محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص165.

(5) محمد الهادي حارش، "ساليست و حرب يوغرطة دراسة تحليلية نقدية"، مجلة البحوث و الدراسات، مج06، العدد 01، الاردن،1991،ص217.

أنجب مكيبسا أذر بعل (Adherbal) و هيمصال[1] (Hiempsal) بعد أن تقدم به السن[2] و في ظرف ذلك الوقت كانت شخصية يوغرطة تزداد كل يوم قوة و مكانة في النفوس[3]، و لما شاهد عمه مكيبسا حب الجماهير له سرعان ما تحول إعجابه به إلى تخوف منه[4]، خاصة بعد أن تأمل صغر سن ابنيه أذر بعل و هيمصال أيقن حينها بأن ابن أخيه يشكل خطراً عليهما حيث يذكر ساليست[5]:" أن مكيبسا كانت تخيفه طليعة يوغرطة المتعطشة للسلطة فضلا عن الفرصة السانحة التي يسمح بها عمره المتقدم و صغر سن ولديه علاوة على ذلك محبة النوميديين ليوغرطة و هي التي يمكن عن طريقها أن يفجر ثورة أو يسبب حربا كل هذه الصعوبات واجهته منذ اللحظة التي أدرك فيها أن مثل هذا الرجل المحبوب بهذا القدر من الشعب لا يمكن القضاء عليه بالعنف و لا بالمكائد[6].

و لا شك أن مكيبسا فكر مليا في إيجاد مخرج لإنقاذ ولديه و احتفاظهما بالملك من بعده و الأكيد أنه حاول إيجاد الحل في التخلص من يوغرطة، لكن كيف؟ هل عن طريق الاغتيال؟ من المؤكد أن ذلك سيؤلب النوميديين و ذلك نظرا للشعبية الواسعة التي كان يتمتع بها يوغرطة لدى قومه. إذن لم يبق للملك سوى التخلص من ابن أخيه بطريقة ذكية تبعد كل الشكوك من حوله و ترضي حلفائه الرومان[7]، و تتمثل طريقته في تعريضه للأخطار و هكذا يجرب حظه لاسيما أن يوغرطة كان جاهزا للمهام و متعطشا للمجد العسكري لذلك عندما أرسل مكيبسا جيشا من الفرسان و المشاة دعما للشعب الروماني خلال حرب نومانتيا عينه قائدا للنوميديين الذين أرسلهم إلى إسبانيا[8] و كان يأمل أن تقضي عليه شجاعته أو وحشية العداء بسهولة[9]. و يذكر ستيفان قزال أن سن يوغرطة حينما ذهب إلى حرب نومانتيا سنة 134ق.م كان عشرون عاما بالتقريب[10].

(1) **هيمصال و أذربعل**: هما ولدان شرعيان لمكيبسا و أولاد عم يوغرطة لم يُعرف عنهما أنهما قاما بأي عمل في المجال السياسي و العسكري.أنظر: مُحَمَّد العربي العقون، "الانقسام و الصراع على السلطة في إفريقيا الشمالية القديمة أزمة وراثة العرش النوميدي(118ق.م)"، مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية، العدد 15،جامعة قسنطينة، الجزائر، 2006،ص263.

(2) مُحَمَّد الصغير غانم، (مقالات...)، المرجع السابق، ص165.

(3) مُحَمَّد فنطر، المرجع السابق، ص117.

(4) عبد الله شريط و مُحَمَّد الميلي، المرجع السابق، ص30.

(5) مُحَمَّد الصغير غانم، (مقالات...)، المرجع السابق، ص165.

(6) ساليست، المصدر السابق، فقرة07.

(7) جمال مسرحي، المرجع السابق، ص54،55.

(8) **إسبانيا**: كانت تطلق من قبل الإغريق باسم أيبيريا أما إسبانيا فهي مصطلح جديد أطلقه الرومان.أنظر: مُحَمَّد عبده حتامله، **أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين**، وزارة الثقافة، الأردن، 1996، ص105.

(9) ساليست، المصدر السابق، الفقرة07.

(10) ستيفان قزال، المرجع لسابق، ج7، ص128.

إذا نرى بأن مكيبسا فكر بطريقة فيها الكثير من الدهاء و الخبث للتخلص من ابن أخيه يوغرطة و يكون بذلك قد ضرب عصفورين بحجر واحد بحيث يكسب ود الرومان مقابل مساعدته لهم من جهة و التخلص من خطر ابن أخيه من جهة أخرى[1]. أما بالنسبة ليوغرطة فلم يتردد في النزول عند الأمر الصادر من عمه فذهب إلى إلى حرب و عرف كيف يستغل هذه المناسبة في دراسة خطط الرومان في الحرب[2].

2/ تبني مكيبسا ليوغرطة رسميا و إلحاقه بالعرش:

لقد أشرنا أعلاه بأن الملك مكيبسا حاول التخلص من ابن أخيه يوغرطة و رأينا كيف دبر في خطة ذكية لإبعاده عن طريقه لأنه يشكل خطرا بالنسبة له و لأولاده مستقبلا. لكن الذي حدث هو العكس حيث يذكر فنطر أنه بوصول يوغرطة إلى معسكر سكيبيو أبدى من الحذق و الشجاعة الكثير مما جعل القيادة الرومانية تُعجب ببطولته وتتعلق به لما لمسوه فيه من تفان و إخلاص لروما و قائدها سكيبيو هذا الأخير كان يكلفه بأصعب المهام و أخطرها و ينجزها يوغرطة بدقة متناهية[3]، و يشير ساليست أن بعد إحراز النصر و سقوط نومانتيا منح سكيبيو هدايا ليوغرطة و مدحه أمام القادة بأفضل الأقوال و أخذه معه إلى خيمة القيادة و هناك نصحه سرا بأن يقيم صداقة علنية عامة مع الشعب الروماني و ليس عن طريق الاتصالات الخاصة و أنه إذا فكر في أن يتبع بصدق النهج الذي أظهره حتى اليوم إن المجد و الملك سيأتيانه لوحدهما لكن إذا استعجل أكثر مما يجب فإن أمواله هي التي ستهلكه[4]. هنا يوغرطة أصبح على دراية قوية بمشاكل الجمهورية الرومانية[5] كما أنه عمل جنبا إلى جنب مع ماريوس تحت قيادة سكيبيو و تعلما في نفس المعسكر فنونا سيطبقانها فيما بعد في معسكرين معاديين[6].

(1) بوزيد دوة، المرجع السابق، ص51.

(2)عبد الله شريط و مُحَّد الميلي، المرجع السابق، ص30.

(3) مُحَّد فنطر، المرجع السابق، ص119.

(4) ساليست، المصدر السابق، فقرة08.

(5) **الجمهورية الرومانية**: هو مصطلح يدل على نظام الحكم الذي تلا فترة النظام الملكي في روما سنة 509ق.م حيث تبنوا حكم أرستقراطيا جمهوريا سلطات مدنية اشترك فيه بدل الملك شخصين (قنصلان) تدوم عضويتهما لمدة عام واحد و انتهى هذا النظام عام 27ق.م. أنظر: حسن بلعيد،"سياسة روما اتجاه المقاطعت التابعة لها خلال القرنين 1/2 ق.م"، مجلة الحكمة، مج6،العدد03، بوزريعة، مارس2018، ص77.

(6) توريت مصطفى، المرجع السابق، ص98.

و بعد ذلك أذن له بالعودة و ودعه بعدما أرسل معه رسالة إلى عمه مكيبسا و التي أوردها ساليست كما يلي:" لقد كانت شجاعة عزيزك يوغرطة في حرب نومانتيا فائقة جدا و هو أمر أعلم أنه سيسركم كثيرا و هو عزيز علينا بسبب خدماته لنا و سأعمل ما بوسعي ليصير محبوبا من طرف مجلس الشيوخ و الشعب الروماني و إنني بوصفي لك أهنئك به فلديك رجل جدير بك و بجده ماسينيسا"[1]. يرى مُحَمَّد فنطر هنا انطلاقا من الرسالة أنها تعد في حقيقة الأمر خضوعا لمشيئة الرومان وبالسيطرة على الأوضاع السياسية في نوميديا آنذاك و أنه لا سبيل للعرش ليوغرطة دون مرضاة روما و شعبها، دون أن ننسى أن سكيبيو كان يرى في يوغرطة ضمانا لهيمنة روما على الديار الإفريقية و خاصة النوميدية[2]. في حين يرى الشنيتي بأن رسالة سكيبيو الايميلي التي بعث بها إلى العاهل النوميدي مكيبسا تعتبر شهادة حسن السيرة لصالح يوغرطة الذي أبلى بلاءا حسنا في صفوف الرومان كقائد على رأس فرقة من الفرسان النوميديين أثناء الحرب الرومانية ضد نومانتيا في شبه الجزيرة الأيبيرية[3]. و منذ ذلك الحين شعر الملك مكيبسا أنه لن يستطيع بعد ذلك أن يعارض طموح يوغرطة[4] و هذا ما أورده ساليست بأن الملك مكيبسا تأكد بعد أن سمع ما في رسالة سكيبيو أنه يُهِرَ ليس فقط بشجاعة يوغرطة لوحدها بل بتأثيره في الآخرين و لذلك غير رأيه و حاول أن يكسبه فأظهر له حسن النية بأن تبناه مباشرة و جعله وريثا مع أولاده في الوصية[5]. أما الشنيتي يرى أن هذا التبني لم يكن نابعا عن حسن نية أو طيبة خاطر من طرف الملك مكيبسا إنما كان ذلك نتيجة ضغط سياسي خارجي سُلط عليه من طرف حلفائه الرومان[6]. أي أنه اعتبر الرسالة التي بعثها سكيبيو أشبه بوصية على العرش لذلك كي ينال رضا الرومان تبنى يوغرطة.

(1) ساليست، المصدر السابق، فقرة9.

(2) توريت مصطفى، المرجع السابق، ص99.

(3) مُحَمَّد البشير الشنيتي، (الاحتلال...)، المرجع لسابق، ص33.

(4)عبد العزيز عبد الفتاح الحجازي، المرجع السابق، ص81.

(5) ساليست، المصدر لسابق، فقرة09.

(6) مُحَمَّد البشير الشنيتي، (الاحتلال...)، المرجع السابق، ص33.

بهذا التسلسل قدم ساليست الأحداث بهدف الوصول إلى أن هذه الرسالة كانت بمثابة إيعاز من سكيبيو إلى مكيبسا بضرورة تبني يوغرطة و إشراكه في الحكم إذ أورد أنه بعد تلقي مكيبسا لهذه الرسالة غير رأيه في يوغرطة وفور تبناه و أوصى له بالعرش مثل أبنائه لكن إلى أي مدى تقبل صحة ذلك؟ في الحقيقة وقع خلاف بين المؤرخين حول قضية تبني يوغرطة لهذا يشير الهادي حارش في هذا الصدد أن مكيبسا توفي سنة 118ق.م و يفهم من هذا الحديث الذي دار بين الأشقاء الثلاثة بعد الانتهاء من مراسم الدفن حسب رواية ساليست أن لاقتراح يوغرطة بإلغاء كل التدابير والقرارات التي اتخذها مكيبسا في ضمن خمس سنوات السابقة لوفاته، فقد أحرز على رضا هيمصال:"بكل طيبة خاطر"، أجاب هيمصال بما أن مكيبسا تبناك منذ 03 سنوات فقط ليسمح لك بالوصول إلى العرش ،معنى هذا حسب حارش أن التبني وقع على أبعد تقدير سنة 121ق.م لكن سبق لساليست أن ذكر أن مكيبسا تبنى يوغرطة فور عودته من نومانس بعد تلقيه رسالة سكيبيو لكن علما أن حرب نومانس انتهت بسقوط كل المدينة في يد سكيبيو الايميلي سنة 133ق.م و بهذا يكون التبني باثني عشر سنه قبل وفاة مكيبسا و ليس 03 سنوات[1].

كما يذكر حارش أن ساليست وقع في خطأ واضح فقد قلص فترة 15 سنة إلى 03 سنوات قبل وفاة مكيبسا أما قزال فيذكر في هذا الصدد أنه يجب الفصل بين قرارين الأول وهو قرار التبني و يفترض أنه حدث سنة 133ق.م وبالتالي فلا حاجة بذلك للوصية فيمكن ليوغرطة أن يصل إلى الحكم وفق تقاليد وراثة العرش بأن الحكم يؤول للأكبر سنا في العائلة أما القرار الثني حسب قزال فهو سنة 120ق.م الذي يمثل تسجيله في الوصية كوريث للعرش فمكيبسا بذلك لم يتبنى يوغرطة نزولا عند رغبة سكيبيو، كما يشير حارش أن هذه الوصية مؤرخة سنة 120ق.م و بذلك يستبعد أن يكون مكيبسا نزل عند رغبة سكيبيو فور عودته من نومانس و إنما تبناه عندما اشتد به المرض[2].

إلى جانب ما ذكر حارش نلاحظ أن هذا التوريث كان تطبيقا للقانون الثلاثي الذي بدأ النوميديين يطبقونه و ساد في مدينة مكثر و كيرطا و غيرها من أخرى و لو نظرنا إلى القانون المتعامل به في الفترة السابقة عن ماسينيسا نجد أن ليوغرطة حق في السلطة لأنه أكبر ذكور العائلة المالكة سنا فقد أدرك مكيبسا ذلك و مزج بين القانون القديم و الجديد كما يمكن القول أن عناية مكيبسا ليوغرطة كانت تهدف إلى تغطية احتمال إدانته حول النهاية الغامضة التي انتهى إليها أخويه مستنبعل و غلوسا[3].

(1) محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 218،219.

(2) توريت مصطفى، المرجع السابق، ص 100،101.

(3) فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص151،152.

لقد توفي مكيبسا حسب ساليست في سن متقدمة بعد أن أتعبه المرض و عند شعوره بقرب وفاته جمع ولديه و المقربين منه و خاطب يوغرطة بوصية أورد ساليست محتواها دون أن يبين مصدرها و ربما هي من وضع الكاتب لما نستشمه من رائحة ذلك من النزع الفلسفية و التي اتصفت و تميزت بها كتاباته[1].

و مما جاء فيها أن ميكيبسا يوصي أولاده بأنه تاركاً مملكة قوية لهم و يجدر بهم الحفاظ عليها بطاعتهم لروما و أوصى هيمصال و مستنبعل باحترام يوغرطة و الاقتداء بشجاعته حتى لا يقال أنه تبنى أولاداً أفضل من أولاده الذين أنجبهم[2].

من خلال هذه الوصية نرى بأن أسلوب ساليست يقوم على الإيحاء بحيث يمهد للحوادث التي يريد ترسيخها بأفكار و أحكام مسبقة تجعلنا فيما بعد نقبل ما يسرده من وقائع فهذا الخطاب الذي كتبه على لسان مكيبسا نستخلص منه احتمال حدوث نزاع بين ولديه و يوغرطة وعندما يسجل فيما بعد النزاع الذي حدث فعلا يقدم النزاع في الصورة التي يريد أن يرسخها عن النوميد المنقسمين المتصارعين و الرومان ذوي القوة و البأس و الحكمة و مجلس الشيوخ و القادة العسكريين و الأرجح أن يوغرطة بذكائه و روحه الاستقلالية التي تعرف عليها الرومان منذ حرب نومانتيا كان يمثل خطرا على المصالح الرومانية في المنطقة و لا يمكن الاطمئنان لرجل بتلك الكفاءة و لعل إرجاع مسألة تبني عمه له كانت بضغط من الرومان و ترسيخ فكرة الاستعلاء من قبل هيمصال على يوغرطة لأنه ابن جارية كانت بوحي من الرومان أيضا هذا كان على حد تحليل العربي العقون[3].

و عليه لا نستطيع أن نقبلها إلى مدى الكبير أو دحضها فقد تكون هذه الرواية المسرودة من وحي المؤرخ نفسه نظرا للأسلوب المستعمل و الطاغي في الخطاب الملقى هذا من جهة دون أن ننسى أن ساليست معروف بنزعته و كتاباته الفلسفية من جهة أخرى، و من هنا أستطيع القول بأن يوغرطة في البداية قد استقطب عمه مكيبسا بفضل شجاعته و بسالته حيث كان يرى فيه الشخصية القوية و المؤهلة من جهة و المشرفة للعائلة الملكية من جهة أخرى غير أنه نرى سرعان ما تغيرت هذه النظرة و حلت محلها الشكوك التي راودت مكيبسا حيث أصبح يوغرطة مصدر إزعاج بأن يقلقه و يقلق مستقبل أولاده بالفعل نرى محاولاته المليئة بالمكائد و التي باءت بالفشل في نهاية المطاف و انتهت بتقبل مكيبسا رأينا مشكلة أزمة العرش قد استيقظت من جديد بعدما نامت مدة 30 سنة و دخول نوميديا في مرحلة مليئة بالصراع بين الإخوة و تدخل الأيادي الأجنبية و بداية التحكم في شؤونها.

(1) توريت مصطفى، المرجع السابق، ص 101.

(2) ساليست، المصدر السابق، فقرة10.

(3)محمد العربي العقون، (حرب...)، المرجع السابق، ص82،81.

III: خلاف يوغرطة مع إخوته بالتبني و إنفراده بالحكم

1/ صراع يوغرطة مع هيمصال:

بعد وفاة الملك مكيبسا سنة 118ق.م بدأت مرحلة جديدة في نوميديا أساسها الصراع و الفتنة بين الإخوة[1]. فمثلما كان يتوقع و يتخوف الملك مكيبسا إن ثبت ما أورده ساليست في روايته فقد نشب الصراع على وراثة العرش النوميدي بين الأمراء الثلاثة أذر بعل و هيمصال و يوغرطة فبعد وفاة الملك مكيبسا لم ينتظر الورثة وقتا طويلاً لإبداء التعارض في الرؤى و الأفكار بل مجرد الانتهاء من تشييع جنازة الملك إلى مثواه الأخير و الانتهاء من مراسم الدفن[2]، عقد الإخوة الثلاثة بما فيهم يوغرطة اجتماعا للنظر في شؤون المملكة و كانت أول مشكلة صادفتهم في بداية الاجتماع هو كيفية الجلوس ذلك أنه كانت هناك عادة مألوفة عند قدماء الليبيين و النوميديين من أن كبير القوم و عظيمهم يتوسط الجلوس غير أن هيمصال و هو الابن الأصغر لمكيبسا[3] كان يحتقر يوغرطة و يبغضه[4] و يدل استعلائه و تعامله بجفاء مع يوغرطة على غروره و قلة خبرته و ضيق أفقه[5] و جلس على يمين أذر بعل ليمنع يوغرطة من الجلوس بالمحل الأوسط الذي هو مقعد الشرف[6].

حيث يرى فيه وضاعة الانتماء إلى الأسرة من حيث أمه أحس يوغرطة بالتحدي و السهم المؤلم الذي وجهه له ابن عمه من خلال تلك الحركة، غير أنه كتم غيضه و تحكم في أعصابه و مع ذلك[7] فإن أدر بعل توسل إلى أخيه بأن يتنازل ليوغرطة عن المكان بحكم أنه أكبر منه سنا فاضطر أن ينتقل إلى الجانب الآخر[8]. ففعل هيمصال و هو غير راض عن ذلك، لقد رتب الإخوة الثلاثة بمجلسهم[9] و شرعوا في درس الوضع قصد حل بعض المشاكل التنظيمية و الإدارية التي تخص المملكة[10]. أما النقطة الثانية التي أثارت الخلاف هي رغبة يوغرطة في عدم تقسيم المملكة و أن الحل حسب يوغرطة هو تحريرها من أساليب التسيير السيئة التي أضرت بمصالحها فاقترح إلغاء الأوامر التي أصدرها مكيبسا خلال الخمس سنوات الأخيرة من حكمه[11].

---

(1) عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص355.

(2)جمال مسرحي، المرجع السابق، ص57.

(3) محمد الصغير غانم، (مقالات...)، المرجع السابق، ص167.

(4)نجيب إبراهيم طراد و آخرون، **تاريخ الرومان**، مكتبة و مطبعة العد، مصر، 1998، ص171.

(5) محمد العربي العقون، (الانقسام...)، المرجع السابق، ص263.

(6) ستيفان قزال، المرجع السابق، ج7، ص131،130.

(7) محمد الصغير غانم، (مقالات...)، المرجع السابق، ص 168،167.

(8) ساليست، المصدر السابق، فقرة11.

(9) محمد الصغير غانم، (مقالات...)، المرجع السابق، ص168.

(10) محمد فنطر، المرجع السابق، ص 127،126.

(11) محمد الصغير غانم، (مقالات...)،المرجع السابق، ص168.

يلاحظ على طريقة طرح يوغرطة لمشاكل المملكة إدراكه للمسؤولية التي يتصف بها كرجل دولة إضافة إلى عدم رضاه على السياسة المنتهجة أثناء فترة حكم عمه مكيبسا الذي سلك نهج أبيه الملك ماسينيسا لاسيما في الولاء للرومان و إطلاقه يد التجار الايطاليين و تدخل المستشارين في توجيه سياسة الدولة النوميدية، و هذا يؤكد ما أشرنا إليه آنفا في كون يوغرطة ورث صفات القوة الجسدية و الجمال و علمه بالفروسية من جده ماسينيسا إلا أنه في معاداته للرومان يكون أقرب إلى الملك سيفاكس من جده[1]. بإثارة يوغرطة مسألة إلغاء أوامر مكيبسا وافقه هيمصال على ذلك لكن على أن يشمل المرسوم الذي تبناه فيه كابن شرعي له قبل 03 سنوات[2]، لقد كانت ردة فعل يوغرطة حينها حسب ما يذكر ساليست بأن تلك الكلمات غاصت في عقل يوغرطة لدرجة لا يتخيلها المرء[3].

بإثارة يوغرطة مسألة إلغاء أوامر مكيبسا أجابه هيمصال بموافقة لأنه تبنى خلال السنوات الأخيرة و هو الأمر الذي جعل له الحق في وراثة العرش لقد كانت ردة فعل يوغرطة حينها حسب ما يذكر ساليست أن تلك الكلمات غاصت في عقل يوغرطة لدرجة لا يتخيلها المرء، التقى الأمراء في الاجتماع الأول و الأخير و بسبب الخلاف قرروا أن يقتسموا فيما بينهم الكنوز و يرسموا حدود أرض كل منهم، و في أثناء ذلك ذهب كل واحد منهم من طريق مختلف عن الآخر إلى مكان الكنوز[4]. لقد أدرك يوغرطة بأن تقسيم المملكة بهذا الشكل سوف يقود المملكة إلى الوهن و الانحلال حيث كان يحلم بتوحيد المملكة مثلما فعل جده ماسينيسا و تنفيذا لهذا الحلم لا يمكن أن يتم إلا بالتخلص من هيمصال و أدر بعل اللذان أصبحا يشكلان عائقا في طريقه[5].

بعد أن استقر كل أمير في إقليمه يبدو أن يوغرطة كان يتحين الفرصة السانحة للانتقام من هيمصال لما بدر منه في الاجتماع سالف الذكر فحسب ما أورده ساليست فقد صادف وجود هيمصال في قلعة ثيرميدا[6] (Thirmida) التي تمكن يوغرطة من إغراء أحد حراسها لتسهيل مهمة القضاء على هيمصال حيث تمكن أحد الموالين ليوغرطة من دخول القلعة بعد أن تمكن من صناعة مفاتيح مماثلة لمفاتيح تلك القلعة و في جنح الظلام اقتحم الجنود الموالين ليوغرطة القلعة[7].

(1) جمال مسرحي، المرجع السابق، ص 58،59.

(2) توريت مصطفى ، المرجع السابق، ص105.

(3) ساليست، المصدر السابق، فقرة 11.

(4)نفسه، فقرة12.

(5)محمد الأسعد رزيق و نبيل عيساوي، المرجع السابق، ص25.

(6) **ثيرميدا:** دوقة هي ثاني أهم المدن بعد كيرطا و لكن على بُعد مسافة قصيرة وجدت قلعة ثيرميدا و هي مدينة أهلية قديمة. أنظر: ستيفان قزال، المرجع السابق، ج7، ص132.

(7) جمال مسرحي، المرجع السابق، ص 59.

و انتشروا يبحثون عن هيمصال و قتلوا البعض و هم نيام و آخرين و هم يحاولون المقاومة و فتشوا في الزوايا الخفية و كسروا الأبواب و نشروا الرعب في كل مكان و أخيرا وجدوه مختبئ في غرفة صغيرة لخادمة لجأ إليها بعد أن ذكر منذ البداية ما حدث لأنه لا يعرف تفاصيل المبنى و حمل النوميديين رأسه إلى يوغرطة كما أمروا[1] و كان ذلك سنة 117ق.م[2]

و هكذا نرى كيف قام يوغرطة بتصفية أول منافس له على العرش و لتحقيق مبتغاه و مسعاه نراه في محاولة أخرى يتخلص من ثاني منافس له للوصول إلى الحكم و تحقيق سيادة و استقلال المملكة و تخلص من آثار التبعية الأجنبية و هذا المنافس متمثل في أذر بعل الذي سنتطرق إليه.

2/ صراع يوغرطة مع أذر بعل و توحيده لنوميديا:

خلال وقت قصير ذاع خبر جريمة فظيعة على هذا النحو في إفريقيا كلها و سيطر الخوف على أذر بعل و جميع رعايا مكيبسا القدماء[3]، و أغضبت معظم النوميديين و أججت مشاعرهم الساخطة كل ذلك الموقف[4] و و انقسم النوميديين إلى معسكرين[5]، التفت الأغلبية حول أدر بعل[6] لكن الأشداء وقفوا إلى جانب يوغرطة[7] يوغرطة[7] كادت أن تندلع الحرب بين الطرفين لكن أذر بعل لم يستطع مواجهة يوغرطة الذي استطاع أن يخضع عددا من المدن إما بالقوة أو بالتراضي حتى أوشك أن يبسط نفوذه على كامل نوميديا[8]. و كان رد فعل أذر بعل بعل أنه أرسل وفدا إلى روما يشكوا أعمال يوغرطة و بدأ ينظم جيشه استعدادا للحرب لكنه انهزم سنة 116ق.م و لجأ إلى الولاية الإفريقية الرومانية و منها انتقل إلى روما لشرح موقفه لمجلس الشيوخ[9] مثنيا و مادحا الرومان

(1) ساليست، المصدر السابق، فقرة12.

(2) محمد الهادي حارش، (مملكة...)، المرجع السابق، ص23.

(3) ساليست، المصدر السابق، فقرة13.

(4) جمال مسرحي، المرجع السابق، ص60.

(5) محفوظ قداش، المرجع السابق، ص92.

(6) محمد فنطر، المرجع السابق، ص133.

(7) محمد العربي العقون، (حرب...)، المرجع السابق، ص83.

(8) جمال مسرحي، المرجع السابق، ص60.

(9) **مجلس الشيوخ**: يعتبر هذا المجلس ممثلا لعظمة الشعب الروماني و الدولة و هو ذو أكبر سلطة في روما منذ العهد الجمهورية يتم تعيين أعضائه من طبقة البطارقة و لهم الحق في إعلان الحرب و السلم و تعيين القناصل.أنظر: إبراهيم أيوب رزق الله، **التاريخ الروماني**، ط1، الشركة العالمية للكتاب، 1996، ص54.

كعادة أسلافه[1] و قام يوغرطة بدوره بإرسال بعثة إلى روما كلفها تبرير موقفه أمام مجلس الشيوخ و أوصاهم ألا يدخروا وسعا في الحصول على تأييد بعض أعضاء المجلس[2].

و لقد نقل لنا ساليست الخطاب الاستعطافي لأذر بعل و الذي ورد فيه:" أيها الآباء أعضاء مجلس الشيوخ لقد أوصاني والدي مكيبسا و هو على فراش الموت و أمرني أن أمارس السلطة محليا فقط على نوميديا بينما يكون إصدار القوانين و السلطة الفعلية بأيديكم أنتم كما أمرني أن أكون مفيدا للشعب الروماني ... و بينما أنفذ أوامر والدي كان يوغرطة هو أسوء إنسان يعين على وجه الأرض و قد تجاهل سلطتكم و أطاح بعرشي و نهب كل ثروتي لكنني يا أعضاء مجلس الشيوخ بعد أن بلغت هذه الدرجة من البؤس أردت أن أطلب مساعدتكم مقابل البضائع الجيدة التي قدمتها لكم .... لذلك أيها الآباء لا تتركوني أنا حفيد أولئك الرجال و حفيد ماسينيسا أطلب مساعدتكم دون جدوى و ألا تقبلوا أن تضيع مملكة نوميديا التي تكون مملكتكم بجريمة تدفع عائلتي ثمنها دماً"[3]. لقد أشار بعض المؤرخين المحدثين إلى كون هذا الخطاب الاستعطافي من وضع المؤرخ ساليست على لسان أذر بعل و لكن ذلك لا ينفي احتواءه على بعض الحقائق التاريخية مثل وضعية العرش النوميدي و علاقته المتسمة بالولاء و الشعبية في فترات عدة و في هذا السياق جاء هذا الخطاب على نهج انهزامي يكرس الهيمنة الرومانية على السلطة النوميدية[4].

بعدما أنهى الملك أذر بعل حديثه، أجاب سفراء يوغرطة نبأ كيدهم أن هيمصال قد قتله النوميديين بسبب وحشيته و أن أذر بعل قد أشعل الحرب و بعد أن هزم فقد غضب لأنه لم يستطع أن يستمر في الظلم و أن يوغرطة يطلب من مجلس الشيوخ ألا يكون رأيا بأنه قد أصبح الآن مختلفا عن الوقت الذي ظهر فيه أول مرة في نومانتيا و ألا يجعل كلام العدو يفوق في الأهمية أفعاله هو[5]. و عندما طرحت المسألة أمام السيناتو سنة 116ق.م[6] قرروا إرسال بعثة تحقيق تتكون من 10 أعضاء برئاسة لوكيوس أوبيميوس[7].

(1) توريت مصطفى، المرجع السابق، ص105،106.

(2) عبد العزيز عبد الفتاح الحجازي، المرجع السابق، ص104.

(3)ساليست، المصدر السابق، فقرة14.

(4) جمال مسرحي، المرجع السابق، ص61.

(5) ساليست، المصدر السابق، فقرة15.

(6) فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص153.

(7)**لوكيوس أوبيموس**: أول عدو ليوغرطة و هو أعداء الاصلاح الزراعي ساهم في القضاء على جراكوس.أنظر: شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص126.

للإشراف على التقسيم الذي أُقره مجلس الشيوخ أي تقسيم المملكة بين يوغرطة و أذر بعل[1] و يذكر ساليست بأنه عندما وصلت اللجنة إلى إفريقيا بادر يوغرطة باستقبالها و قررت الكثير من أعضائها أن تختصه بالقسم الغربي للمملكة و كان أكثر حضرية و عمرانا من القسم الشرقي الذي مُنح لأذر بعل و الذي يبدو مظهريا[2] أفضل من القسم الغربي لأنه كان به أجمل المعابد و أكثر الموانئ و أكبرها و كانت عاصمته سيرتا[3].

و يبدو أن هذا التقسيم حسب الشنيتي كان أنسب الحلول التي وصلت إليها الدبلوماسية الرومانية في تلك الظروف لأن قوة يوغرطة بدأت تبرز في المنطقة المتنازع عليها فكان من الأساليب الحكيمة لروما أن تستميل يوغرطة سياسيا لتضمن نفسها دوام النفوذ في نوميديا و تجنب نفسها التدخل عسكريا في منطقة المصالح لصالح أذر بعل الذي يبدو أن سمعته لدى مجلس لشيوخ كانت أضعف من أن تأهله للظفر التام بثقة الرومان إلى درجة العمل على وضع زمام المملكة النوميدية كلها في يده فهو زيادة على صغر سنه لم يكن يتمتع بقوة الشخصية التي يظهر أنها من الصفات البارزة التي تفوق عليه بها خصمه يوغرطة[4].

و أن هذا التقسيم لم يكن عفويا لأن اللجنة الرومانية التي أشرفت على عملية التقسيم راعت المصلحة الرومانية[5]. لم يكن يوغرطة راضيا على تقسيم المملكة و إنما تظاهر بذلك لكي يتجنب المواجهة المسلحة مع الرومان[6]. ما لبث يوغرطة بعد ذلك إلا أن يوجه بصره نحو مملكة أذر بعل و كان جسورا ميالا للحرب و هذا عكس الأخر الذي كان مسالما حليما و هو على حد قول ساليست ذو روح طيبة مستعداً لتحمل الظلم و يخاف أكثر مما يخيف[7]. و ذلك ما قام به فعلا حيث بعد مدة قصيرة قام يوغرطة بغارة خاطفة تمكن خلالها من الظفر بغنائم وافرة و عدد كبير من الأسرى ثم كرر العملية مرة أخرى لاستدراج أذر بعل الذي لم يسقط في فخ يوغرطة و قرر الانسحاب إلى كيرطا سنة 113ق.م و أرسل وفدا إلى روما يشتكي تجاوزات يوغرطة المتكررة[8].

(1) جمال مسرحي، المرجع السابق، ص61،62.

(2) هذا مخالف للواقع لأن الجزء الشرقي للمملكة هو أكثر غنى و عمرانا و يمتد من السرت الكبير شرقا مما وراء الامساغا غربا.أنظر محمد العربي العقون، (حرب...)، المرجع السابق، ص90.

(3) فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص154.

(4) محمد البشير الشنيتي، (الاحتلال...)، المرجع السابق، ص35.

(5) محمد الحبيب البشاري، المرجع السابق، ص52.

(6) جمال مسرحي، المرجع السابق، ص 63.

(7) ساليست، المصدر السابق، فقرة20.

(8) جمال مسرحي، المرجع السابق، ص63.

و ما كان هذا الموقف ليوقف طموح يوغرطة أبدا فقد أصبح يعتقد أنه سيد كل مملكة أذر بعل إن لم يكن أكثر[1]. فأرسل له وفدا يخبره بالفعل الذي اقترفه يوغرطة مصمما على تحمل هذا الوضع دون التدخل في حرب ثانية لم يكن أمام أذر بعل إلا مغادرة مملكته أو الدفاع عنها بقوة السلاح فنادى بالتعبئة و انطلق نحو يوغرطة[2].

و عسكرا الجيشان ليس بعيدا عن البحر بجوار مدينة كيرطا و حيث أن النهار في آخره فإن المعركة لم تبدأ لكن بعد أن مرّ الجزء الأكبر من الليل و قبل أن يبزغ الفجر فإن جنود يوغرطة قد هاجموا معسكر الأعداء بمجرد أن أعطيت لهم الإشارة و هكذا دفعوا البعض إلى الفرار و فرقوا آخرين و هم بين نوم و يقظة و آخرين بينما كانوا يستعدون لأخذ أسلحتهم و هرب أذر بعل مع قليل من الفرسان إلى كيرطا و بالرغم من أنه لا يوجد كثير من الفرسان للدفاع عن الأسوار في مواجهة النوميديين في الحرب بين الملكين قد بدأت و انتهت في اليوم ذاته[3].

بعد هزيمة أذر بعل لاذ بالفرار متحصنا بعاصمته كيرطا معتمدا على دعم التجار و الجالية الايطالية المقيمين فيها سنة 113ق.م هذه المدينة التي حاول يوغرطة السيطرة عليها قبل عودة الوفد الذي أرسله أذر بعل إلى روما لكي تنصفه و تضع حدا لتوسعات يوغرطة كان رد فعل روما بإرسال وفد برئاسة "سكاروس أومبيوس"[4]، الذي لم يستطع إيجاد حل لهذا الصراع لأن يوغرطة لم يسمح له بالدخول إلى كيرطا التي استمر حصارها لمدة خمسة أشهر[5]. فقام أذر بعل بتعيين اثنين من رجاله ليمداه بالإعانة اللازمة لاجتياز تحصينات يوغرطة قصد الوصول إلى أقرب نقطة بالبحر المتوسط بروما فنجح في اجتياز التحصينات و خط دفاع يوغرطة و تمكن من الوصول إلى روما ليلقي خطابا على مجلس الشيوخ الروماني[6] جاء في محتواه:" أيها الآباء أعضاء مجلس الشيوخ لم يكن خطأي خطأي أن أتوجه إليكم بالرجاء غالبا لكن قسوة يوغرطة اضطرتني و أراد تدميري إلى درجة أنه لا يحسب إليكم أي حساب لكن يتعطش لدمي يسيل أكثر من أي شيء آخر و بالرغم من أنني حليف أظل للشهر الخامس محاصرا بقوة السلاح ... أنقذوني ... أستحلفكم بعظمة دولتكم و بشرف الصداقة أن تخلصوني من أيدي يوغرطة الآثمة إن كنتم تحتفظون بذكرى من جدي ماسينيسا"[7].

(1) مُحَمَّد العربي العقون، (حرب...)، المرجع السابق، ص93.

(2) مُحَمَّد الاسعد رزيق و نبيل عيساوي، المرجع السابق، ص33.

(3)ساليست، المصدر السابق، فقرة 21.

(4) **سكاروس أومبيوس**: قنصل روماني كان رئيسا للحزب الأرستقراطي كانت له براعة فائقة في ستر الدسائس السياسية كان يحب المال و متعطشا للتكريم له و كان عدوا ليوغرطة. أنظر: ستيفان قزال، المرجع السابق، ج7، ص138،137.

(5) مُحَمَّد الهادي حارش، (مملكة...)، المرجع السابق، ص

(6) توريت مصطفى، المرجع السابق، ص108.

(7) ساليست، المصدر السابق، فقرة 24.

فأرسلت روما وفدا ثانيا حيث نزل بأوتيكا[1] سنة 112ق.م فاستدعى الملكين لكن يوغرطة تردد كثيراً و حاول الاستيلاء على كيرطا قبل المثول أمام اللجنة الرومانية و هناك تم تهديده أشد تهديد حسب قزال باسم مجلس الشيوخ إذا لم يتخلى عن حصار سيرتا، و بعد مداولات طويلة عاد منتدبون إلى روما دون الحصول على أي شيء[2].

يشير الحبيب بشاري من خلال هذه الأحداث أن روما تصرفت و كأن نوميديا من صفها أو محميتها و أن الملكين أذربعل و يوغرطة تعاملا معهما و كأنهما موظفان عندها حتى و إن اعتبرنا موقف يوغرطة من المبعوثين الرومان و الإدارة الرومانية إستراتيجية لكسب الوقت في انتظار تدعيم موقفه و تقوية وجوده[3]. استمر حصار كيرطا التي تضم الجالية الايطالية[4] بنسبة كبيرة و أظهروا مقاومة شديدة في الدفاع عنها هذه الجالية غالبيتهم تجار تجار فدفاع الجالية الرومانية عن كيرطا يعتبره بعض المؤرخين دفاعاً عن مصالحها و مصالح دولتها في المدينة النوميدية فدفاعها عن الملك أذربعل يندرج ضمن سياسة اتبعتها روما اتجاه إفريقيا لأن أذربعل كان من الذين يكتفون بالجلوس على العرش و يتركون حقيقة الحكم و السلطان في أيدي أرباب السياسة في روما و وقوفها ضد يوغرطة لأنه يأبى التعاون مع الرومان و بذلك كان صراع سياستين متناقضتين سياسة التبعية و التخلي عن الحكم لصالح روما و سياسة تهدف إلى السيادة الإفريقية و احترام كيان الدولة النوميدية[5].

بعد خبر التفاوض الذي حدث في أوتيكا و نتائجه كانت الجالية الايطالية مقتنعة بالاستسلام مقابل الأمان و الحرية في المدينة[6] شجعوا أذربعل و اقترحوا عليه الاستسلام و اقتنع بأن الإصرار على عدم الاستسلام سوف يجبر يجبر على قبوله فيما بعد و عند هذا أعلن الاستسلام المدينة و دخلها يوغرطة[7] و هذا سنة 112ق.م حيث تمكن يوغرطة من إلقاء القبض على ابن عمه أذربعل و تعذيبه حتى الموت[8].

(1) **أوتيكا**: أسست فوق مرتفع بالقرب من نهر المجردة و تبعد البحر بحوالي 10 كم و يفصلها عن قرطاجة حوالي 15 ميلا و تأسست سنة 1101ق.م لأغراض اقتصادية تجارية مخصصة لربط العلاقات بين فينيقيا و بلاد المغرب . أنظر: زواوي الصديق، **سياسة التدرج الروماني في احتلال المغرب القديم**(146ق.م-430م)، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، قالمة، 2016، ص38.

(2) محمد الصغير غانم، (مقالات...)، المرجع السابق، ج1، ص170.

(3) محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص52.

(4)كانت الجالية الايطالية بكيرطا عبارة عن جواسيس و عيون تستعملهم روما وقت الحاجة، بالاضافة إلى أنها كانت تحتكر تجارة الحبوب التي كانت تنتجها المنطقة. أنظر: محمد الصغير غانم، (مقالات...)، المرجع السابق، ج1، ص171.

(5) توريت مصطفى، المرجع السابق، ص109،110.

(6) محمد الاسعد رزيق و نبيل عيساوي، المرجع السابق، ص35.

(7) عبد العزيز عبد الفتاح الحجازي، المرجع السابق، ص89.

(8) جمال مسرحي، المرجع السابق، ص64.

كما لم تسلم حتى الجالية الايطالية المقيمة بكيرطا التي لم تهرب معتقدة بأن يوغرطة لن يؤذيها خوفا من عقاب الرومان إلا أنها أخطأت التقدير لأن يوغرطة لم يستثنى أي أحد بغية إدخال الرعب في كل من يساند أذر بعل و ليرى أتباعه ماذا سيكون مصيرهم لو خانوه أو حتى التفكير في معارضته لذلك أمر جنوده بإبادة مؤيدي أذربعل من النوميد و الجالية الايطالية التي تمكنت من حمل السلاح[1].

بعد استيلاء يوغرطة على كيرطا أصبح سيد نوميديا كلها بلا منازع و موحدها بشطريها الشرقي و الغربي من جديد كما أن مملكته أصبحت متاخمة لإفريقيا الرومانية و باتت روما متأكدة بأن يوغرطة الذي فتك بجاليتها المقيمة في كيرطا لن يثنيه أي مانع و لن تنقصه جرأة على أن يهاجم الرومان في الولاية الإفريقية و الهدف لن يحيد عن السياسة الوطنية التي ما بدأت تبرز لدى هذا الملك الشاب و هو تحرير كل المنطقة المغاربية و توحيدها تحت رايته[2].

على إثر هذه التطورات الخطيرة على المصالح الرومانية في المنطقة وجدت روما نفسها مصطدمة أمام يوغرطة فعدم وفقته بالجالية الايطالية حسب ساليست كان وراء الثورة العامة في روما و الدعوة لإعلان الحرب عليه فانعقد مجلس الشيوخ لدراسة وضعية المملكة النوميدية و إصدار القرار الروماني الذي ينص على أن يوغرطة ارتكب جريمة و أساء إلى عظمة روما و حرمة الشعب الروماني و مهما كانت العلاقات التي تربطه برجال الحكم في روما لا يمكن هذه المرة لأحدهم بعد تلك الجريمة أن يدافع عنه بدون أن يعرض نفسه للاتهامات الخطيرة في روما عند السيناتورين و الديمقراطيين ثم حسم الأمر ضد يوغرطة[3].

يبدو أن يوغرطة بات متأكدا من الرد العنيف الذي ستقيم عليه روما لذلك نجده يعمل كل ما في وسعه من أجل تفادي ذلك مستعملا شتى الطرق بما في ذلك التظاهر بالموالاة للرومان و الانصياع لهم و ما الأحداث الأخيرة إلا ردود أفعال على سياسة أذربعل و لا تعني الرومان و الواضح أن هدف يوغرطة من ذلك حينها هي المحافظة على وحدة نوميديا و حتى يثبت حسن نواياه لروما أرسل إلى هذه الأخيرة وفدا برئاسة ابنه و ضم ذلك الوفد زيادة على ابنه اثنين من النوميديين المقربين من الملك لشرح الموقف النوميدي و التفاوض مع أعضاء مجلس الشيوخ[4].

(1) محمد الاسعد رزيق و نبيل عيساوي، المرجع السابق، ص36.

(2)جمال مسرحي، المرجع السابق، ص64.

(3) توريت مصطفى، المرجع السابق، ص110،111.

(4) جمال مسرحي، المرجع السابق، ص65.

و لما نزل الوفد بإيطاليا استأذن القنصل باستيا من مجلس الشيوخ السماح لرسل يوغرطة بالدخول فأجابوه بالرفض إن لم يكونوا آتين لوضع المملكة و الملك تحت تصرف الشعب الروماني و مغادرتها في غضون عشرة أيام و في الوقت نفسه بدأ مجلس الشيوخ التحضير للحرب بقيادة باستيا الذي كُلف بقيادة الجيوش في إفريقيا ضد يوغرطة[1].

(1) توريت مصطفى، المرجع السابق، ص 111.

I: سياسة المهادنة و الرشوة

1/ سياسة المهادنة.

2/ سياسة الرشوة.

3/ سياسة حرب العصابات.

II: المواجهة العسكرية و سياسة الند للند

1/ المواجهة العسكرية مع القنصل ميتيلوس.

2/ المواجهة العسكرية مع القنصل ماريوس.

III: تداعيات حرب يوغرطة على نوميديا و روما

1/ تداعيات الحرب على نوميديا.

2/ تداعيات الحرب على روما.

I: سياسة المهادنة و الرشوة

رأينا بوصول يوغرطة إلى الحكم أخذت العلاقات الرومانية النوميدية مجرى آخر حيث تحولت إلى علاقات اتسمت بطابع العدائية كان يوغرطة مصدرها حيث رفع شعار الحرية من جراء التدخل الروماني في شؤون مملكته و هذا ما نجم عنه خوض حرب مريرة ضد الرومان، و التي لم يتردد فيها بتوظيف حنكته و دهائه السياسي ضف إلى ذلك قدراته العسكرية الفذة طيلة 07 سنوات مع القادة الرومان و تنوعه في أساليبه و إستراتيجيته في مواجهته.

1/ سياسة المهادنة:

تسعى الأطراف المتصارعة في الحرب إلى انتهاج الأساليب الحربية متنوعة فيعمل كل طرف على جمع بعض المعلومات عن العدو من حيث حجم جيشه و طريق سيره و خطته لأن ذلك يفيد في رسم خطط حربية جديدة و مضادة و قد استعمل الحيل و المؤامرات لخلق ذلك التنظيم دون الدخول في حرب لا يملك الخصم عدتها فيكون بذلك كسب عصفورين بحجر واحد. لذلك استعمل يوغرطة أسلوبا عُرف بأسلوب المهادنة ذلك أولاً تجنب دخوله في أي مواجهة عسكرية مباشرة و الهدف من ذلك تقوية جيشه و مواجهة العدو في الفرصة المناسبة، ثانيا لكسب الأنصار و حلفاء يدعمونه في قضيته هذا ما سوف نراه لاحقاً، و أسلوب المهادنة في الواقع ما هو إلا مماطلة لكسب الوقت.

ذكرنا أن من أهداف انتهاج أسلوب المهادنة هو كسب أنصار و حلفاء هذا ما يتجلى باستعانة يوغرطة عيونه المتواجدين بروما و أصدقائه من الرومان الذين حارب إلى جانبهم منذ معركة نومانتيا لمعرفة كل ما يجري بروما و لعلمه بالظروف السيئة التي كانت تمر بها الإمبراطورية، رأى يوغرطة بأن الوقت مناسب ليتربع على عرش نوميديا كلها فقتل ابن عمه هيمصال لكن أدر بعل أراد الانتقام لأخيه و جازف بدخول معركة غير متكافئة مع يوغرطة فخسر و فر إلى روما و لحسم الأمور لصالحه أرسل يوغرطة بعثة لشرح موقفه أمام مجلس لشيوخ و عمل على استمالتهم و رأينا حتى في روما تجنب المواجهة العسكرية مع يوغرطة فكانت ترسل المندوبين للنظر في شؤون المملكة المتنازع عليها من الاخوة و تقرر تقسيم المملكة و منح الجزء الشرقي لأدر بعل الذي تميز بضعفه من شأنه أن يجنب روما الدخول في مشاكل عويصة هذا من جهة و من جهة أخرى تكون روما قد خلقت حاجزا سياسيا أمام يوغرطة للحد من أطماعه و تزايد نفوذه[1].

(1)حسيبة باحمان، **الخطط العسكرية للمقاومات النوميدية للاحتلال الروماني 146ق.م–430م**، رسالة دكتوراه، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2021، ص156،157.

نرى من خلال ذلك أن يوغرطة قد قبل و سرعان ما عمل على تحريك الخلاف مجدداً فهاجم العاصمة كيرطا و قتل أدر بعل و نكل بالجالية الايطالية المقيمة بها سنة 112ق.م لكن هذه المرة روما لن تغفر ليوغرطة على فعلته إذ أصبحوا يفكرون في إيجاد وسيلة لتأديبه و إعلان الحرب عليه من جهته هو كان على علم بذلك و لتفادي الاصطدام مجددا مع روما عمل يوغرطة أيضاً بالتظاهر بالضعف أمام روما محاولاً إثبات أن ما قام به لم يكن موجها لروما بل لأدر بعل و قد عمل على استخدام أسلوب الدبلوماسية، فأرسل مبعوثين لمجلس الشيوخ لشرح القضية إلا أن مجلس الشيوخ قد رفض ذلك و جهز حملة لتأديبه[1] و هذا ما سنراه لاحقاً.

لقد انتهج يوغرطة سياسة الهدنة مع روما لتجنب الوقوع في مناوشات و بالتالي الحرب فكان دائما ما يظهر بمظهر البريء و أنه حليف الرومان و يكن الولاء لهم هذا قبل القضاء على أخيه أدر بعل و توحيد نوميديا غير أن سياسته تغيرت بعد وصوله للحكم و الانفراد به و بهذا أستطيع القول بأن سياسة المهادنة تعتبر إحدى الأساليب التي عمل بها يوغرطة و ذلك للاستفادة من نتائجها كربح للوقت و لإعداد و ترتيب الجيش و عدد أفراده و الاستعداد لمواجهات أكبر ضد روما دون أن ننسى كسب عدد كبير من الأنصار المؤيدين له و بالتالي القوة التي تساعده في الوقوف في وجهها و بعدما تم العمل بهذا الأسلوب نرى كيف استفز الرومان بالتنكيل بالجالية و هي الأخرى اعتبرته ذريعة لشن الحرب عليه.

2/ سياسة الرشوة:

رأينا سابقاً كيف اصطدمت روما بطموح يوغرطة وجها لوجه خاصة بعد حادث مقتل الجالية الإيطالية في كيرطا من جراء هذا تم تقرير إعلان الحرب عليه فبعد مداولات مجلس الشيوخ الروماني بشأن الحرب تم الإجماع على توجيه حملة عسكرية لإخضاع يوغرطة المتطاول على روما بقيادة القنصل "كاليورنيوس باستيا"[2] (Bastia Calpurnius) في حين نرى يوغرطة استعداده لهذه المواجهة و استخدامه أسلوبا مغايراً لتجنبه و هي رشوة القنصل الروماني و جنوده من المرتزقة لكن قبل التطرق إلى موضوع الرشوة سوف أذكر بالإيجاز عن الأحوال التي سادت روما في أواخر العهد الجمهوري مزامنة مع حرب يوغرطة.

(1) حسيبة باحمان، المرجع السابق، ص157.

(2) **كالبورنيوس باستيا:** هو قنصل من الطبقة الأرستقراطية عُين تريبونا للعامة عام 120ق.م اتهمه ساليست بحبه للمال.أنظر: فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص188.

فالرشوة إذا آفة اجتماعية وجدت في المجتمعات القديمة و عرفها القرطاجيون و الإغريق و الرومان ، و كانت ظاهرة شائعة بين الرومان في كل مراحل تاريخها من العهد الملكي إلى العهد الإمبراطوري اعتمد عليها النبلاء و العامة إلى حد سواء و قد مست كل الأجهزة الرسمية الإدارية منها و العسكرية و القضائية مما تثبته المصادر اللاتينية و كان من بينها شيشرون[1] و ساليست و غيرهم. ففي المجال السياسي يتضح من خلال الخطاب الذي ألقاه تريبيون العامة جراكوس على النبلاء. إن القناصل و أعضاء مجلس الشيوخ كانوا يتلقون الرشاوى من سفراء بعض الملوك للموافقة على مشاريعهم في روما كما كان الأمر الآخر كذلك عند التصويت على مختلف القوانين و منذ ذلك الحين تفاقمت ظاهرة الرشوة و أصبحت وسيلة عادية في المجتمع الروماني يلجأ إليها كل فرد ميسور الحال لتحقيق أغراض سياسة أو اقتصادية، و لم تقتصر هذه الآفة على الساسة الرومان فحسب بل شملت كذلك الجهاز العسكري حيث تفشت في الميليشات على نحو حكم الولايات. و مما زاد في خطورة هذه الظاهرة أن الرشوة لم تبق داخل روما فقط بل تجاوزتها إلى مختلف ولايات الإمبراطورية كولاية افريقية التي قدم سكانها شكاوى عديدة إلى السلطة المركزية في روما ضد مسؤولين الرومان، ففي عصر الجمهورية و بعد تعيين 300 فارس لإدارة ولايتها كلفت روما شكاوى كثيرة تتمحور حول ابتزاز هؤلاء أموال أهاليها من بينهم الأفارقة الذين ظلوا إلى غاية بداية العصر الإمبراطوري يعانون من بطش و استغلال ولاة مقاطعتهم[2].

فبينما كانت روما منهمكة في الصراع الحربي الذي احتدم بين السيناتو و جايوس جراكوس كانت الجيوش الرومانية مشتبكة على الحدود في سلسلة من الحروب دفاعاً عن سلامة الاراضي الجمهورية و لم تمض بضع سنوات على موت جايوس[3]، فالمدافعين عن حقوق العامة في روما الذي انتشرت فيه وجوه الفساد عديدة من طمع و جشع و رشوة و ظلم و سوء الاستغلال للسلطات هذا الوضع كان نتيجة لحالة السلم التي سادت المجتمع الروماني بعد إخضاع معظم أعداء روما في حوض البحر المتوسط و ما ترتب عنه ذلك من وفرة و رخاء لبعض فئات المجتمع الروماني من النبلاء و احتدام الصراع الحزبي بين النبلاء و العامة[4] في أثناء ذلك الصراع كانت روما في شمال افريقيا تخوض حرب الزعيم النوميدي يوغرطة فقد استطاع هذا الرجل أن يخدع أعضاء السيناتو و يتحدى الجيوش الرومانية منشغلاً بهؤلاء للتمرد و استعداد أولئك للرشوة[5].

(1)**شيشرون (ciceron)**:(106-143ق.م) خطيب و سياسي روماني مارس السياسة و المحاماة سنة 80ق.م أحبط مؤامرة كاتيلينا و توفي مغتالاً من طرف أنطونيوس. أنظر: قعر ثمرد السعيد، المرجع السابق، ص102.

(2)شافية الشارن، "الرشوة عند الرومان من خلال كتابات ساليست"، مجلة دراسات إنسانية، العدد01، جامعة الجزائر02، 2001، ص 364.

(3)عبد اللطيف أحمد علي، **التاريخ الروماني عصر الثورة من تيبيريوس جراكوس إلى أكتافيوس أغسطس**، دار النهضة، بيروت، 1988، ص45.

(4)مُحَمَّد السيد مُحَمَّد عبد الغني، المرجع السابق، ص19.

(5)عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص45.

كان الكثير من الرومان لا يؤيدون تلك الحرب سواء أكان ذلك بغرض التعاطف مع يوغرطة أو أنهم يعلمون الخسائر لتلك الحرب عكس عامة الشعب التي أرادت أن تكشف سلبيات النبلاء و قضية الرشوة التي اتهم بها هؤلاء إلا أنهم في قضية تدنيس الشرف الروماني أجمعوا على أن يرسلوا قنصلاً إلى إفريقيا قصد وضع حد لأطماع يوغرطة و أسندت قيادة الجيوش إلى باستيا و اختار مساعديه من الشخصيات المهمة من بينهم "إيميليوس سكاوروس" (Aemilius Scauros) الذي جعله على سره و مستشاراً له[1].

انطلقت الجيوش من إيطاليا و وصلت إلى ريجيوم و من هناك أبحرت نحو صقلية و من صقلية نزلت الأراضي الافريقية[2]، جهز باستيا في البداية التموين الضروري[3] حيث قاد جيشاً قوامه 40.000 جندي في أواخر ربيع 111ق.م[4] ثم بدأ حملته بهجوم قوي ضد نوميديا و أسر الكثيرين و سيطر على بعض المدن[5].

لكنه سرعان ما توقف إثر عقده للصلح مع يوغرطة اعترف له فيه بالسيادة على كامل نوميديا باستثناء لبدة الكبرى مقابل أن يدفع يوغرطة مبلغا زهيداً من المال و بعض المواشي و الخيول و الفيلة، و بخصوص هذا الاتفاق يحاول ساليست أن يسوق لنا سقوط باستيا ضحية إغراءات يوغرطة متهما إياه بالخيانة و تعاطي لرشوة على حساب الشرف الروماني و مهما يكن فإن يوغرطة كسب المعركة الأولى في أقصر وقت و بأقل ثمن[6]. لكن القنصل باستيا كان في أمس الحاجة إلى تلك الهدنة ليتمكن من العودة إلى روما من أجل ترشيح نفسه لمنصب القنصلية مجددا عام 110ق.م غير أن مجلس الشيوخ الروماني رفض ما تم بينه و بين يوغرطة و استدعى مجلس الشيوخ هذا الأخير للمثول أمامه من أجل التحقيق في الأمر و التأكد من مدى رغبة يوغرطة في السلم و الخضوع للرومان[7]، إلا أن بذكاء يوغرطة و معرفته بواقع تركيبة مجلس الشيوخ الروماني كان قد اتفق مع جايوس بيبيوس (G.Bebius) و بعض مناصريه على أن يلتزم يوغرطة الصمت لإفشال الجلسة عند مثوله أمام مجلس الشيوخ و ذلك ما تم حسب ما أورده ساليست متهما جايوس بيبيوس بأنه باع ذمته ليوغرطة[8].

(1)توريت مصطفى، المرجع السابق، ص11،112.
(2)بوزيد دوة، المرجع السابق، ص55.
(3)ساليست، المصدر السابق، فقرة28.
(4)عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص359.
(5) ساليست، المصدر السابق، فقرة28.
(6)جمال مسرحي، المرجع السابق، ص65.
(7)بوزيد دوة، المرجع السابق، ص55.
(8) جمال مسرحي، المرجع السابق، ص66.

غير أن الواقع هو أن الرجل النزيه يمكن أن يرى نفسه على صواب لو فعل مثلما فعل بيبيوس و إلا فليس هناك أشد إهانة للجمهورية من هذا المشهد التمثيلي الذي يدعوا للضرر فيه من قبل البربري الذي خدع روما و تلطخ بالدم الايطالي ليرمي العار على أعظم شخصيات الدولة[1].

بعد أن اطمأن على مصيره شرع يوغرطة في استغلال نفوذه و أمواله و هو في روما للتخلص من أحد اللاجئين من العائلة الملكية النوميدية في روما و هو ماسيفا، و الذي فر من نوميديا بعد سقوط كيرطا و مقتل أدر بعل[2] فالتحق بروما التي أرادت فيه الأنسب لحماية مصالحها في نوميديا كما أنه سعى هو أيضاً لينال رضا مجلس الشيوخ و تأييده في تولي عرش نوميديا بعد يوغرطة[3].

ترى فتيحة فرحاتي بأن يوغرطة كان قلقاً من وجود ماسيفا و حماية الرومان له و كأنه كان يشكل حكومة في المنفى و بالتالي وجوده على هذا النحو كامل قلق لحكم يوغرطة في نوميديا. كما ترى أيضا بأن هذه الدوافع القوية جعلت يوغرطة يفكر في التخلص من غريمه ماسيفا كما أنها لا تستبعد حضور يوغرطة الجريء إلى روما قد تم بموجب تنسيق سري بينه و بين زعماء الحزب الجمهوري مما يدعم هذا الاحتمال مساعدتهم أن يعود سالماً و كان مجيء يوغرطة إلى روما هدفه التخلص من ماسيفا أكثر من كونه يهدف للمثول أمام السيناتو و كشف أسماء الذين تلقوا منه الرشاوى و الهدايا، كما تضيف في هذا السياق بأن من المحتمل أيضاً أن جريمة اغتيال ماسيفا لم يكن ليوغرطة دخلاً فيها و أن دعاة الغزو من طبقة الفرسان هم الذين دبروا هذه الجريمة ليزيدوا من حدة الاتهامات عليه[4]. إثر هذه الأحداث التي أثارت ضجة كبيرة في مجلس الشيوخ جاءت ردود الأفعال سريعة في روما مطالبة يوغرطة بمغادرة المدينة[5] و قد كان مساعده بوميلكار[6] قد فر قبله بأيام إلى نوميديا[7] و قد خرج خرج يوغرطة بعد أن استخف بالرومان بارتكابه لفعلته تلك في عقر دارهم و قد قال مقولته الشهيرة[8]" روما معروضة للبيع و تنتظر مصيرها السيئ بمجرد أن تجد المشتري"[9].

(1)توريت مصطفى، المرجع السابق، ص112،113.

(2)محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، 24.

(3)جمال مسرحي، المرجع السابق، ص66..

(4)فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص157.

(5)جمال مسرحي، المرجع السابق، ص66.

(6)**بوميلكار**: أحد أعوان يوغرطة و هو من قبيلة نوميدية لكنه يحمل اسما بونيقيا و هذا دليل على التأثيرات الفينيقية على النوميديين.أنظر: محمد فنطر، المرجع السابق، ص183.

(7)فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص157.

(8) محمد الصغير غانم و آخرون، **المقاومة و التاريخ العسكري المغاربي القديم**، دار هومة، الجزائر، 2007، ص302.

(9) ساليست، المصدر السابق، فقرة35.

بالعودة إلى موضوع الرشوة فقد بالغ ساليست في التركيز على سلاح الرشوة الذي أشهره يوغرطة في وجه روما و صوره كما لو كان سلاحه الوحيد في كسب معاركه الدبلوماسية و العسكرية[1] لكن إذا تمعنا في هذا الموضوع نتساءل عن سبب انفراد يوغرطة باستعمال الرشوة دون غيره من الملوك النوميديين الذين كانوا على نحوه يكنون عداءا شديدا للرومان و يعرفون نقاط ضعفهم و يملكون من المال ما يضاهي أو يفوق مال يوغرطة لرشوة من يريدون، لماذا لجأ يوغرطة للرشوة في حربه ضد الرومان؟ هل كان يريد وراء ذلك رفض الحرب أم إذلال الرومان؟ اعتبرها وسيلة من وسائل القتال لتحقيق الحلم الذي كان يراوده من صغره في الانفراد بالحكم و التخلص من هيمنة روما و تدخلها في سائر شؤون مملكة نوميديا و المعرقلة لمساعيه و بعبارة أخرى الاستقلال عن روما. فإذا اعتبرنا أن يوغرطة كان ينوي عدم مواجهة الرومان فهل هذا يعني أنه كان غير واثق من تحقيق أهدافه عن طريق القوة؟ لكن الشيء المعروف آنذاك هو توازن القوى النوميدية و الرومانية من حيث العدة إذ كان الجنود النوميديين يملكون تقريبا نفس الأسلحة التي كانت بحوزة الرومان و المتمثلة في الرماح و الحراب و السيوف و الخناجر بل أكثر من ذلك فإن النوميديين كانوا متفوقين في ميدان الفروسية إذ يعدون من أمهر فرسان العالم آنذاك، و الشيء المعلوم كذلك هو أن يوغرطة كان شأنه شأن بقية النوميديين مشهورا ببسالته و بأسه في الحروب و هو ما أثار إعجاب بعض القادة الرومان به مثل "سكيبيو" (E.Scipion) الذي أشاد بخصاله لعمله و بحكم محاربته في صفوف الجيش الروماني في إسبانيا، بعد تقييمنا لظاهرة الرشوة و بعد عرضنا للأسباب التي جعلتنا نشك في وجود هذه الآفة في نوميديا يتبقى علينا من خلال تقييمنا لحياة هذا المؤرخ و من خلال دراسة مؤلفاته و في مقدمتها "حرب يوغرطة" معرفة النوايا التي دفعته إلى الاهتمام بموضوع خصص له كتابا كاملاً و هو الرشوة عند يوغرطة و الرومان على حد سواء و من خلال مؤلفاته بين ساليست خلافات الساسة الرومان و اتهمهم بالتماطل و الظلم و العجز في اعتمادهم على الرشوة في تحقيق أغراضهم، ففي الوقت الذي كشف فيه يوغرطة عيوب الرومان نادى هذا المؤرخ بالطهارة و الإخلاص و غيرها من القيم الحميدة مع أنه لم يكن أحسن من هؤلاء فمثلاً في عام 59ق.م و أثناء مشاركته في الحرب الأهلية كقائد شاب استطاع جمع أموال طائلة عن طريق الرشوة و النهب و مصادرة الأملاك و الاستيلاء عن الغنائم كما كان الأمر ساريا عند الرومان في ذلك الوقت[2].

(1)محمد السيد محمد عبد الغني، المرجع السابق، ص19.

(2)شافية الشارن، المرجع السابق، ص 365،366.

طُرِد ساليست من مجلس الشيوخ سنة 50ق.م و بعد مرور سنتين من تعيينه نقيباً للعامة بسبب سوء خلقه إلا أن القيصر أعاده إلى منصبه و كما هو واضح كتب ساليست المؤرخ الكثير من فضائح الحكام الرومان و في مقدمتها موضوع الرشوة الذي خصص له كتابين كاملين " مؤامرة كاتيلينا و حرب يوغرطة(و من خلال مؤلفاته الأربعة ناشد ساليست الشعب الروماني ضرورة إنقاذ الجمهورية من تسلط المرتشين الرومان بيد أنه في واقع كقائد و حاكم لم يختلف كثيراً عن هؤلاء مادام قد انتهج طريقاً يشبه إلى حد بعيد طريقهم، مما يدل على أنه رغم اعتقاده لهذا الوسط فقد بقي يحن إليه و في اعتقادنا أنه استغل وجود شخصية نوميدية معروفة بدهائها و ذكائها ليقحمها في موضوع رسمه كما كان يتصور تستغل الرشوة لتحقيق أغراضها فجاءت كتاباته متحيزة يكتنفها الكثير من الشك نتيجة تناقض أفكاره مع سلوكه و نتيجة مبالغته المفرطة للأحداث و دفاعه اللامتناهي و المطلق عن القيم الحميدة التي فقدها المجتمع الروماني و هو معه[1].

فبخروجنا من موضوع الرشوة و العودة إلى الحديث عن الحملة فقد أعلن مجلس الشيوخ استئناف القتال ضد المملكة النوميدية لإرغام يوغرطة على الخضوع و أخذ الرومان يجهزون لإعداد حرب ثانية و عُين القنصل سوبرينوس ألبينيوس قائد للقوات الرومانية و لعمليات الحرب في إفريقيا و ما نستنتجه من هذه الحملة الأولى على نوميديا هو الفشل الواضح للرومان في تحقيق أطماعهم و لا نرجعه فقط إلى الدخول المفاجئ لروما في الحرب دون أي استعداد كونها استغلت استنجاد أدر بعل بهم كما استغلت مقتل الجالية الايطالية و إنما نرجعه لقوة النوميديين و حماسهم في الدفاع عن شرفهم و شرف أرضهم بكل تضحية فلا نرجعه إلى تعبير ساليست الذي حمل انتصارات يوغرطة إلى الرشوة و المال و الخديعة و إنما هي سمات غلبت على الرومان و أفكارهم و هذا ما نراه في الحملات الأخرى[2].

3/ سياسة حرب العصابات:

بعد فضل باستيا في القضاء على يوغرطة بل و أكثر من ذلك أحدث صراعاً كبيراً في مجلس الشيوخ بعد استدعاء يوغرطة فكان لحادثة اغتيال ماسيفا صدى كبير في روما حيث تحدى يوغرطة روما و شوه كرامتها و هيبتها و بذلك فكيف ترضى روما أن يأتي مدينتهم من يبعث فيها فساداً فأصبحت الحرب إذاً أكثر حتمية[3].

(1) شافية الشارن، المرجع السابق، ص ص 366-368.

(2) مصطفى توريت، المرجع السابق، ص115.

(3)نفسه، ص115.

نرى يوغرطة هنا أنه انتهج أسلوباً آخر في هذه الحملة و هي أسلوب الكر و الفر أو بما يسمى بمصطلح حرب العصابات و قبل الولوج إلى هذا الحملة و التفصيل فيها سوف أتطرق إلى شرح ما معنى حرب العصابات؟ في تعريفها الأول هي حرب الاستنزاف للعدو سياسيا و اقتصاديا و عسكريا عن طريق أعمال سريعة و مركزة تقوم بها مجموعات صغيرة تحتمي بمناطق صعبة المنال و تحتاج هذه الحرب في الغالب إلى زمن طويل نسبيا حتى تحقق أهدافها[1]. و في تعريفٍ آخر لها هي طريقة قتال يتبعها قوم يقطنون المنطقة المحتلة أو محاطة بالعدو و رغم أن هذا التعريف الصحيح إلا أني أميل إلى تسميتها أحياناً بحرب "الدبور" و ذلك لما توضحه طبيعتها من انزعاج و إثارة و ما يتبعه محاربوها من اللدغ و الضرب كنوع من أنواع القتال التي يجب أن يستعملوها لأنه بمقارنتهم بقوات الجيش النظامي يتضح أنهم أقل عدداً و أضعف تسليحاً و ليس لديهم موارد مؤكدة للتموين علاوة على أنهم معرضون للخطر باستمرار و من ناحية أخرى فإن العدو قوي و منظم و له السيطرة على موارد التموين و يقبض اليد من حديد على زمام الأمر في الأقاليم التي يحتلها[2].

إن الليبيين كانوا بارعين في الأساليب القتالية و منها الكر و الفر و نصب الكمائن و يرجع ذلك إلى أنهم كانوا خفيفي الأجسام و يتفوقون على عدوهم في السرعة و الحركة سواء عند الانقضاض أو عند التراجع إضافة إلى أسلحتهم الخفيفة المتمثلة في ثلاثة رماح و حجارة في أجربة من الجلد[3].

لقد كانت هذه أهم التعريفات فيما يتعلق بمصطلح حرب العصابات و الآن أعود للتفصيل أكثر عن هذه الحملة.

ففي سنة 110ق.م تم تعيين ألبينيوس قائداً للجيش الروماني فتوجه إلى إفريقيا على رأس جيش من 40 ألف جندي[4] الذي أحسن الاستعداد للحرب و نقل القوات و المؤن و العتاد إلى إفريقيا محاولاً أن يضع نهاية للحرب مع يوغرطة[5] و الانتقام للرومان قبل إجراء انتخابات مجلس الشيوخ[6].

(1) عبد الهادي بن موسى أبو الماضي، **الوجيز في حرب العصابات**، معهد أجنادين للتربية الجهادية، فلسطين، 2019، ص03.

(2) أحمد حمروش، حرب العصابات، دار الكتاب العربي، 1948، ص06،07.

(3) حسيبة باحمان، المرجع السابق، ص 180.

(4)عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص359.

(5) مُحَمَّد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص27.

(6) توريت مصطفى، المرجع السابق، ص116.

و اندلعت الحرب ثانية لكن ببطء مملّ[1] حتى أن البعض ساورتهم الظنون بأن القنصل يتواطأ مع الملك فيوغرطة تارة يدافع بل و يهاجم و تارة يبدو كمن يستسلم أو يترك المجال لمتابعته من غير أن يقاوم فكان بعمله هذا يوهن هجمات الرومان إذ يجعلهم يأملون السلام أملاً خادعاً[2] و ذلك لكسب الوقت و هذا ما نجح فيه يوغرطة من جراء اتباع يوغرطة لأسلوب الكر و الفر (حرب العصابات)[3]، أقبل فصل الشتاء دون أن تحقق الحرب أي نتيجة ملموسة و عادت الجيوش إلى معسكراتها أما القائد ألبينيوس فكان عليه أن يلتحق بروما قصد السهر على مصالحه السياسية[4] (اشرافه على انتخابات العام الجديد) و ترك القيادة لأخيه أولوس الذي قد أخذه أخذه معه كمساعدا ثم عاد إلى إيطاليا غير أن خلافاً عنيفاً حدث بين النقباء، بيليوس لوكيوس و لوكيوس أنيوس و كانت نتيجته أن حال دون وقوع الانتخابات و هكذا مكث ألبينيوس في روما[5].

توقفت العمليات الحربية إذاً و رابط الحين بالمعسكر لكن القائد أولوس كان طموحاً فعوض المكوث بالمعسكر و السهر على شؤون الجيش فضل الخروج ليهاجم يوغرطة و أمله القضاء عليه و كان ذلك في شهر جانفي من سنة 109ق.م شهر تكثر فيه الأمطار و يشتد فيه البرد[6] و قد توغل القائد الروماني الجديد بجيشه إلى شرقي الدولة النوميدية في فصل الشتاء البارد غير عابئا بالخطط الحربية التي كان يدبرها له يوغرطة و كان هدفه الوحيد هو مباغتة يوغرطة و الاستيلاء على الأموال التي كان يعتقد أن الملك يودعها في "سوثول" (Suthul)[7].

و كانت هذه المدينة بأقصى جبل وعر المنحدر و كانت سهوله تحيط بالجبل تسقط عليها الأمطار فأصبحت وحلاً تعوق سير الجنود غير أن أولوس لم يعر تلك العراقيل قيمة و أمر أن تتابع الجيوش سيرها نحو المدينة المحصنة و لعله بذلك يريد إرعاب الملك و لعل رغبته في احتلال المدينة و التسلط على كنوزها مما جعل على قلبه غشاوة فبات لا يفقه بالخطر و لا يقدر العقبات[8].

(1) محمد فنطر، المرجع السابق، ص168.
(2) ستيفان قزال، المرجع السابق، ص 156.
(3) جمال مسرحي، المرجع السابق، ص66.
(4) محمد فنطر، المرجع السابق، ص168.
(5) ستيفان قزال، المرجع السابق، ج7، ص157.
(6) محمد فنطر، المرجع السابق، ص168.
(7) **سوثول**: منطقة غابية تقع في سفح الجبل صعبة المسالك و احتمال تكون تقع غرب قالمة بحوالي 04كم. أنظر: محمد الصغير غانم، (مقالات...)، المرجع السابق، ج1، ص173.
(8) محمد فنطر، المرجع السابق، ص169،168.

و لكي ينمي يوغرطة ثقة هذا الرجل الذي كان معجبا بنفسه بقدر ما كان عاجزا فإنه بعث إليه عدة مرات بمبعوثين يخاطبونه راجين بينما كان يوغرطة يبدي أنه يتجنب المعركة و يذهب بجنوده إلى الأمكنة التي تكثر فيها الأشجار و يصعب الوصول إليها فابتعد أولوس عن "سوثول" و بما أنه يأس من الاستيلاء عليها و أخذ يطارد الملك الذي أبدى الفرار أمامه[1]. كان دعاة يوغرطة يغتنمون كل فرصة للتسرب في صفوف الرومان لكي يتطلعون على أسرارهم[2].

كما كان يوغرطة يلجأ إلى المباغتة في الوقت الذي كانت فيه روما تعيش تمزقا فظيعا و وجد يوغرطة في طمع الفيالق و القيادة الرومان فرصة لزيادة هذا التمزق من خلال دفع الهبات[3]، بعدما تم رشوة ثلة من الضباط ثم الاتفاق على أن يلتحقوا بصفوف يوغرطة أو يتركوا مراكزهم عند الإشارة[4]، و أخيراًو في ليلة حلكاء أحاطت جموع غفيرة من النوميديين بالمعسكر فجأة فانضمت إلى العدو النوميدي[5] كتيبة الليغوريين (Liguri) مع كتيبتين من الخيالة التراقيين (Thracii) و قليل من الجنود العاديين بينما سمح قائد المائة الأساسية من الفرقة الثالثة للأعداء بدخول التحصين من خلال النقطة التي كان يقوم بالدفاع عنها و من هناك اندفع جميع النوميديين إلى الداخل[6]. فاستولى الهلع على الرومانيين الذين رموا جميعهم تقريباً بأسلحتهم و فروا إلى هضبة مجاورة و كان الظلام و أعمال النهب في المعسكر هما اللذان منعا المنتصرين من متابعتهم[7]، اجتمع يوغرطة في اليوم التالي بالقائد الروماني و أخبره أنه هو و جيشه تحت رحمة النوميديين و أن أمامهم أن يموتوا جوعاً أو قتلاً و لكنه مراعاة لظروف و اعتبارات إنسانية يمكن أن يعفوا عنهم إذا مروا من تحت النير و أبرموا معاهدة مع يوغرطة و أن يتركوا نوميديا في غضون 10 أيام[8]. و بالرغم من أن هذه الشروط كانت قاسية و مخجلة فإنها كانت الحل الوحيد البديل عن الخوف من الموت لذلك فقد اتفقا أن يقيما السلام وفقا للشروط التي اقترحها الملك[9].

(1)ستيفان قزال، المرجع السابق، ج7، ص157.
(2) محمد فنطر، المرجع السابق، ص169.
(3) عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص359،360.
(4) محمد فنطر، المرجع السابق، ص169.
(5)ستيفان قزال، المرجع السابق، ج7، ص157.
(6) ساليست، المصدر السابق، فقر38.
(7)ستيفان قزال، المرجع السابق، ج7، ص157.
(8)محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص37،38.
(9)ساليست، المصدر السابق، فقرة38.

نزلت أخبار هذه الهزيمة على الرومان كالصاعقة[1]، و ساد الخوف و الأسى في روما و حزن الكثيرون على مجد الإمبراطورية و خاف آخرون على حريتهم لأنهم لم يتعودوا على العمليات الحربية لكنهم جميعاً يشعرون بالسخط على أولوس لاسيما أولئك الذين تميزوا مرات كثيرة في الحرب و ذلك لأنه قد طلب النجاة من خلال العار و ليس من خلال المعركة بالرغم من أنه كان مسلحاً[2]. لقد أحس أليبيوس أنه سيخسر المنصب إذا حاول ستر أخيه لأن الكارثة المخزية التي وقعت بنوميديا أحدثت بروما من الغضب فقرر مجلس الشيوخ أي معاهدة لا يمكن عقدها و لا تكون ذات صلاحية بغير أمره و بأمر الشعب فحشد ألبينيوس الجيوش بسرعة و طلب النجدة بسرعة من الحلفاء و من اللاتين و لكن النقباء الشعبيين منعوه من إرسال هذه الجيوش لأنهم من دون شك كانوا يريدون الاحتفاظ بمهمة معاودة الحرب لأحد قنصلي الرومان الذي يحرز على نوميديا التي ذكرت بأنها ولاية قنصلية في سنة 109ق.م على غرار ما عرفت به سنة 111ق.م و 110ق.م[3] بعد أن وصل إلى هناك كان يحترق غضبا من الرغبة في مطاردة يوغرطة و ينتقم منه لهجومه على أخيه[4] غير أنه وجد الجيش في معسكره قد انهارت معنوياته و فقد انضباطه و يعيش في حالة الفوضى[5] فقد قرر وفقاً لهذه المعطيات ألا يقوم بأي عملية عسكرية[6] و لحسن الحظ على حد تعبير قزال أن يوغرطة لم يكن يرى من المناسب أن يستفيد من الظروف للقيام للقيام بالهجوم و من الواضح أنه كان يظن أن كل شيء سينتهي إلى الشتوية[7].

عاد ألبينيوس إلى روما في حين اتهم أولوس بالرشوة و ارتكاب الخيانة من أجل أغراض مادية و مالية و أدى الاحتجاج في روما إلى تشكيل لجنة ماميليان للتحقيق في هذه الادعاءات و التي تأسس سنة 109ق.م من قبل منبر (C.mamiliuslimitanus) لإجراء تحقيق في مزاعم الرشوة ضد الذين أخذوا أموالاً أثناء نياباتهم أو قياداتهم[8] و أصدرت المحكمة بقرار إدانة القائد باستيا و ألبينيوس و أولوس و أمر بنفيهم خارج المدينة[9].

(1)عبد العزيز عبد الفتاح الحجازي، المرجع السابق، ص89.
(2) ساليست، المصدر السابق، فقرة39.
(3)ستيفان قزال، المرجع السابق، ج7، ص160،161.
(4)ساليست، المصدر السابق، فقرة39.
(5)بوزيد دوة، المرجع السابق، ص56.
(6) ساليست، المصدر السابق، فقرة39.
(7)ستيفان قزال، المرجع السابق، ج7، ص157.
(8) محمد الأسعد رزيق و نبيل عيساوي، المرجع السابق، ص53.
(9) فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص158.

بعد فشل ألبينيوس في القضاء على يوغرطة التي ألحقها بهم في موقعة سوثول أدركت روما قوة الخصم يوغرطة و حنكته و جديته و كفاءته في قيادة حرب العصابات التي خيبت أمل الرومان مما جعلهم يختارون قيادة جديدة للجيش الروماني فتم اختيار ميتيلوس قائداً للجيش سنة 109ق.م بهدف الانتقام لشرف روما المهدور[1].

مما سبق يمكننا القول بأن أسلوب الكر و الفر كان من أهم الاستراتيجيات و الخطط العسكرية التي تميز بها النوميديون و التي كان لها الفضل في تحقيق العديد من الانتصارات التي سجلها يوغرطة ضد خصمه و بالرغم من عدم التكافؤ في العدة و العتاد إلا أنه استطاع إثارة الرعب و التفرقة في نفوس الجيوش الرومانية و ذلك بمفاجئاتهم في المناطق الغير متوقعة مع الاستعانة بطبيعة الجغرافية طبعا.

II: المواجهة العسكرية و سياسة الند للند

1/ المواجهة العسكرية مع القنصل ميتيلوس:

بعد فشل الأخوين في القضاء على يوغرطة و الهزيمة التي ألحقها بهم في واقعة المثول أدرك الرومان مدى قوة و كفاءة يوغرطة في قيادة حرب العصابات التي أفزعت الرومان مما جعلهم يختارون قيادة للجيش حيث أختير هذه المرة "كايكيليوس ميليتوس"[2] الذي اختار مساعديه و هما ضابطين عُرف عنها بالدهاء السياسي و العسكري و هما "ريتيلوس" و "ماريوس"[3]، نزل ميتيلوس بإفريقيا و حل بها في منتصف الربيع من سنة 109ق.م حيث تسلم تسلم القيادة[4] الفرق العسكرية الرومانية و كانت المهمة صعبة خاصة في ظل الوضع المتدهور الذي يعيشه الجيش الجيش الروماني من قلة الانضباط و المعنويات المنهارة[5].

(1)عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص360.

(2)**كايكيليوس ميتيلوس**: تولى القنصلية عام 109ق.م و تولى قيادة الجيش الروماني بإفريقيا لكن سرعان ما انهارت معنوياته جراء هزائمه المكررة ضد يوغرطة. أنظر: جمال مسرحي، المرجع السابق، ص68.

(3)**ماريوس**:تطوع في الجيش الروماني منذ الصغر شارك في حرب نومانتيا و تزوج عمة يوليوس قيصر تولى منصب الخطابة وطالب بالقنصلية قاد جيشه للنصر في حرب يوغرطة. أنظر: ويل ديورانت، قصة الحضارة، ج1، مج3، تر: محمد بدران، دار الجبل، لبنان، 1988، ص248،249.

(4)محمد فنطر، المرجع السابق، ص175.

(5)محمد العربي العقون، (حرب يوغرطة...)، المرجع السابق، ص55.

عزم على تنظيم الجيش و وضع حد للرشوة و الفساد في صفوفه من خلال إصداره عدة تعليمات للجيش تخص تسيير للمعسكرات و تحد من الفساد و الرشوة[1] و فور وصوله الأرض الافريقية اتجه إلى نوميديا و أقام معسكرات قرب باجة[2]، ثم اتجه من هناك نحو الجنوب الغربي حتى وصل وادي المثول[3].

حيث تخفى له يوغرطة بين الأشجار حيث تقدمت الجيوش الرومانية و تجاوز جناحها الأيمن في المرتفعات عندما أمر ألفين من المشاة بقيادة بوميلكار بالمركز في الجبل و أمره بمواجهتهم و أعاقهم عند إقامة المعسكر حتى لا تتمكن من العودة إليه أثناء الهجوم و بعد أن طبقت أوامر يوغرطة بحذافيرها انقض النوميديون على صفوف الرومان الذين اختل نظامهم و التجأ النوميديون إلى طريقة القتال قضت على كثير من الرومان إذ كانوا يأبون الالتحام بالرومان و كانوا يقتربون من العدو حتى يخافهم و يتأهب لقتالهم و مطاردتهم ثم يبتعدون عنه بسرعة لإستدراج العدو ليقع في الفخ إذ يحيط بها فرسان يوغرطة من كل جانب فيبيدونها فانتصر على ميتيلوس و ألحق بجيشه هزيمة ساحقة مستفيد من طبيعة المنطقة التي كانت ملائمة على ما يذكر ساليست[4].

بعد ذلك اعتمد ميتيلوس على أسلوب مستهجن كالعادة العسكرية الرومانية تمثل في تخريب المزروعات و نهبها و تحطيم الأسوار و القرى و إضرام النيران في كل ما تطأه أقدام جيشه في حين أثبتت يوغرطة ذكائه و حنكته إذ لم يرضخ لتلك الأساليب الإرهابية و واصل الكفاح فكان ينقض على الجيش الروماني ليلاً فيقتل و يأسر كلما سنحت له الفرصة بذلك كما لجأ إلى تسميم الأعشاب و العيون حتى لا يستغلها الرومان ما أربك ميتيلوس و جيشه من جراء حرب الاستنزاف[5] التي طبقها يوغرطة فلجأ ميتيلوس إلى خطة استدراج يوغرطة و إجباره على المواجهة العسكرية حيث هاجم مدينة زاما[6]. (انظر ملحق رقم (05) ص74)

(1)جمال مسرحي، المرجع السابق، ص68.

(2)**باجة**: هي مدينة تقع حاليا في تونس ذكرها كمركز تجاري هام للقمح وُجد بها الجالية الايطالية من التجار. أنظر: فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص189.

(3) **وادي المثول**: يعتقد قزال أنه واد ملاق حاليا بتونس. أنظر: جمال مسرحي، المرجع السابق، ص69.

(4)محمد الأسعد رزيق و نبيل عيساوي، المرجع السابق، ص56،55.

(5)جمال مسرحي، المرجع السابق، ص69.

(6)**زاما**: يبدو أنها ليست زاما المعروفة في عهد حنبعل و سكيبيو بل هي زاما ريجيا الواقعة غرب تونس بالقرب من مدينة سيكا(الكاف). أنظر: ساليست، المصدر السابق، فقرة56.

يقال بأن لكل فعل رد فعل و بالرغم من أن القائد ميتيلوس عمل على سياسة الترهيب و ذلك بتخريبه للمحاصيل الزراعية و حتى المدن و القرى بغية إخضاع يوغرطة و رأينا رد فعل يوغرطة هو الآخر يلجأ إلى تسميم العيون و الأعشاب حتى لا يستغلها الرومان لذلك عمل بتخريب كل ما يمكن أن يساعد العدو من مصادر مائية و غذائية بغية كسر قوته و إضعافه اقتصاديا دون قتال أو مواجهة مباشرة هذا ما كان يتمتع به يوغرطة من دهاء و خبرة في الميدان العسكري، و انتظر قدوم الملك النوميدي و جيشه لنجدتها إلا أن يوغرطة اكتشف خطة ميتيلوس منخلال بعض الجنود الفارين من الجيش الروماني و قدموا إلى زاما فدعا حينها يوغرطة السكان للصمود في وجه العدو و وعدهم بنجدتهم في الوقت المناسب و قد بدأ ميتيلوس بتنفيذ خطته بالسير نحو زاما فباغته يوغرطة بالهجوم على معسكر جيشه و قتلالكثير من حراسه و في اليوم الموالي لذلك الهجوم أمر ميتيلوس كل فرسانه بالبقاء بالمعسكر لحراسة كل أبوابه قبل مواصلة المسير إلى زاما و عندما أشرف الجيش الروماني على المدينة و في غياب الفرسان أمر ميتيلوس بالهجوم و في أثناء ذلك ظهر يوغرطة قادما لنجدة المدينة و جرت معركة ضارية بين الطرفين أبلى فيها الفرسان النوميديين البلاء الحسن مستغلين غياب الفرسان الرومان مما انعكس سلبا على أداء المشاة في الجيش الروماني[1].

عاد ميتيلوس إلى إفريقيا الرومانية بعد هزيمته و فشله في السيطرة على مدينة زاما حيث استغل يوغرطة ذلك الوضع في استرجاع مدينة باجة التي قضى على حامية فيها و لم يسلم منها إلا قائدها تروبليوس سيلانوس (Turpiliussilanus) لكن سرعان ما تمكن ميتيلوس باسترجاع مدينة باجا في ربيع 108ق.م فاضطر يوغرطة للانسحاب و اللجوء إلى مدينة تالة[2]، ثم انتقل إلى مدينة "كابسا"[3] (capsa) و منه اتجه غرباً نحو قبائل الجيتول حاثا إياهم على مساعدته في التصدي و الوقوف أمام وجه الاحتلال الأجنبي الغاشم و دربهم و نظمهم و علمهم أصول الجندية و كون منهم جيشا جديدا استطاع يوغرطة بواسطة القبائل الجيتولية الوصول إلى الملك بوخوس، و إقناعه بالوقوف معه ضد الخطر الداهم بعد إقناع يوغرطة بوخوس على ضرورة دعم قضية الدفاع عن نوميديا ضد الاحتلال الروماني، تدعمت علاقة العاهلين بالمصاهرة حيث تزوج يوغرطة إحدى بنات بوخوس و يعتبر ذلك نجاحا كبيراً أحرزه يوغرطة قد ينسيه هزيمة باجا و قرر العاهلان بعد توحيد رؤاهما حول القضايا المصيرية التي تربط بين مملكتيهما الهجوم على كيرطا التي كان ميتيلوس يعسكر بإحدى ضواحيها و في تلك الأثناء حدث تغيير في قيادة الجيش الروماني حيث عُين ماريوس على رأس الجيش خلفاً لميتيلوس[4].

(1)جمال مسرحي، المرجع السابق، ص69،70.

(2)**ثالة**: مدينة تونسية تقع في الشمال الغربي من ولاية القصرين اليوم و هي أهم المدن الكبرى و الغنية في فترة الملك يوغرطة. أنظر: مُحَمَّد الأسعد رزيق و نبيل عيساوي، المرجع السابق، ص60.

(3)**كابسا**: و هي قفصة اليوم تقع في الجنوب التونسي و هرقل هو من أسس هذه المدينة حسب بعض المؤرخين. أنظر: نفسه، ص60.

(4)جمال مسرحي، المرجع السابق، ص71،72.

نستنتج مما سبق أن النوميديين أدركوا الخطر الروماني و بنوع من الشعور الوطني، دافعوا عن أرضهم ضد الرومان إذ يذكر فنطر أنه لم يكن ذلك الشعور في نفوس النوميد كما استطاعوا مجابهة الجيوش الرومانية و في هذا الصدد ينسب ساليست خطابا ألقاه يوغرطة على الجيوش النوميدية و المورية بحضور بوخوس جاء فيه[1]:" إن الرومان قوم ظالمون غاية في البخل و حب المال يكنون عداوة لبني الإنسانية عامة، و حبهم للسيطرة جعل منهم أعداء الممالك و الدول تراهم اليوم يتآمرون علي كما تآمروا بالأمس على قرطاجة و الملك بيرسي و سيظهرون عداوتهم بالغد لكل من له ثروة تهمهم...."[2].

2/ سياسة الند للند مع القنصل ماريوس:

جاء على رأس الحملة الرومانية هذه المرة أحد أبرز القادة العسكريين الجدد أي ماريوس الذي انطلق على رأس الفرقة العسكرية التي جندها من إيطاليا و كان قد عهد بتوفير المؤن إلى ضابطه مانيليوس و نزل بأوتيكا و قد اختار النزول في ذلك الميناء لأنه عاصمة المقاطعة الرومانية بإفريقيا و يتوفر على امكانيات الانزال فضلا عن الأمان الذي يوفره للجند القادم من إيطاليا. قبل أن يشرع ماريوس في العمليات العسكرية الكبيرة اهتم بإعداد الجيش و تنظيمه[3] حيث عاكس ماريوس القانون و العرف الروماني بتجنيد العديد من لرجال الفقراء و غير مهمين من كافة مناطق الدولة فأصبح تكوين الفرق الرومانية يحوي على 6200 جندي بعد أن كان لا يتعدى 5000 جندي و قام بتقسيم الجيش إلى 10 كتائب و كل كتيبة تتكون من 03 فصائل و كل فصيلة من سريتين، فبعد نزول ماريوس بأوتيكا من نفس السنة خاض أولا مواجهاته بضواحي كيرطا مع الملكين الافريقيين أدرك ماريوس من خلالها صعوبة تحقيق النصر بهذا الأسلوب و لهذا قرر مهاجمة المدن و احتلالها لعله يستدرج الملكين للنزول إل ميدان المعركة اتجه ماريوس نحو الجنوب حيث استطاع احتلال مدينة كابسا سنة 107ق.م منتهج سياسة الرومانية بإراقة الدماء فأمر بنهبها و حرقها و إبادة سكانها[4].

(1)توريت مصطفى، المرجع السابق، ص120.

(2)محمد الصغير غانم، (مقالات...)، المرجع السابق، ص163.

(3)محمد العربي العقون، (المؤرخون...)، المرجع السابق، ص64،63.

(4) محمد الأسعد رزيق و نبيل عيساوي، المرجع السابق، ص63.

ذكرنا سالفا بأن ماريوس قبل شروعه في العمليات العسكرية كيف نظم و اهتم باعداد جيشه و هنا يتبادر في ذهني سؤال: هل تعتبر اصلاحات ماريوس العسكرية تابعة لأوضاع روما الداخلية؟ أم هو أسلوب انتهجته روما للقضاء على مقاومة يوغرطة؟ و الاجابة هي نعم حيث كانت أوضاع في روما أواخر القرن الثاني قبل الميلاد يوصف بالمضطرب داخليا خاصة بعد الاحداث العنيفة و الدامية التي تخلص من خلالها مجلس الشيوخ و القنصل لوكيوس أومبيوس (Lucius Opimius) من دعاة الاصلاح غايوس جراكوس (Gaius Gracchus) و فيلفيوس فلاكوس (Fulius Flaccus) و في تلك الفترة كان الخطر يهدد الجمهورية من الخارج لكن الخطر الأكبر في نظر الرومان الذي تعلق بكرامتها كونها أكبر دولة في منطقة البحر المتوسط آنذاك و تلك الحرب التي فرضها عليهم يوغرطة الطامح لتحرير بلده من التدخل الأجنبي فبعد فشل القناصل و حملاتهم كُلِّف ماريوس بقيادة الجيوش الرومانية بعد وصوله إلى قيادة منصب الجيش و كونه كان يناصر الطبقة العامة استطاع بخطابه التعهد بقتل يوغرطة و الاتيان به حيا إن كُلف بذلك الحرب و بالفعل عُين قنصلا سنة 107ق.م كما رأينا أيضا عين قنصلاً سلك مسلكا جديدا لم تعهده روما من قبل في طريقة تجنيد الجيوش حيث فتح باب للعامة للتجنيد في الجيش الأمر الذي كان يتطلب سابقا نصيبا ماليا للانضمام إلى الحملات العسكرية، و ذلك لتعبئة القوات اللازمة لحملاته و رأينا أنه قد انتخب قنصلا للمرة الثانية سنة 104ق.م أثناء غيابه في إفريقيا.

باحتلال ماريوس لقفصة سنة 107ق.م يكون قد حقق شعبية كبيرة و رفع معنويات جيشه إضافة إلى قطع التموين المادي و المعنوي غلى يوغرطة و بوخوس و يبدو أن ذلك شجع ماريوس على الاستمرار في مواجهة الجيشين النوميديين و ينتصر في جل المعارك التي خاضها حتى بلغ نهر ملوية[1]، على الرغم من تقدم الجيش الروماني من ملاحقة يوغرطة بعد هزيمته في قفصة إلا أنه لم يستطع تحقيق نصر ساحق ينهي المقاومة خصوصا بعد التحالف بين يوغرطة و بوخوس ذلك التحالف الذي طالما أقلق الرومان و عملوا كل ما في وسعهم من أجل تفكيكه و في هذا الصدد يشير بعض المؤرخين إلى أن ملاحقة ماريوس ليوغرطة غربا إلى قلعة تاوريت[2] (Taourit).

(1)جمال مسرحي، المرجع السابق، ص73.

(2)**قلعة تاوريت**: و هي قلعة محصنة بالقرب من نهر الملوية بها كل الامكانيات الطبيعية و البشرية. أنظر: مُحَمَّد الأسعد رزيق و نبيل عيساوي، المرجع السابق، ص63.

و استطاع فعلا السيطرة عليها بفضل الجندي الليغوري الذي اكتشف ممرا خلفيا للقلعة فكانت هذه الحيلة التي قام بها ماريوس بهدف خلق الشقاق في الحلف النوميدي الموري و إثارة المخاوف لبوخوس إلا أن بوخوس استغل ابتعاد ماريوس عن كيرطا و استطاع استعادة بعض المدن المجاورة لها في صيف 106ق.م لكنه لم يستطع البقاء بكيرطا طويلا حيث تمكن ماريوس[1] بعد انضمام النقيب سولا (Sylla) إليه من استعادة كيرطا في نهاية عام 106ق.م و بداية 105ق.م و أقام معسكره فيها خلال هذه الفترة بعد ذلك خاض الطرفين عدة معارك بضواحي كيرطا اختتمت بمعركة وادي العثمانية بالقرب من كيرطا يقول أورسيوس في وصف هذه المعركة:" كانت معركة عجيبة ثار الغبار و كثر حتى أظلم النهار و صار كالليل و يذكر أن هذه المعركة قد دامت ثلاثة أيام كان يوغرطة قاب قوتين أو أدنى من إحراز النصر على الرومان إلا أنه هزم في آخر المعركة أمام تقاعس الشريك الموريتاني لتعرف الحرب دورا جديداً ينبئ بنهايتها لصالح الروماني[2]"

و في مقر إقامته بمعسكره بكيرطا استقبل ماريوس مبعوثين من الملك بوخوس الذي أراد الدخول في هدنة مع الرومان بعد أن بدأ في التردد من مواصلة الحرب مع يوغرطة، و عند استقبال ماريوس لمبعوثي الملك بوخوس أبلغوه عن رغبة الملك في التفاوض من أجل إنهاء الحرب وفقا لمصالحه و مصالح الشعب الروماني و أنه يطلب إرسال اثنين ممن يثق فيهما لمقابلة الملك و على الفور أوفد له ماريوس كل من مانيليوس و سولا[3].

و هنا السؤال المطروح هل الرومان طلبوا مساعدة بوخوس أم العكس؟ من منطلقي هذا استطيع القول أن الرومان سعوا إلى تفكيك ذلك التحالف الذي دار بين الملك يوغرطة و صهره بوخوس إلا أن هذا الأخير هو الذي بادر للتحالف مع الرومان و ذلك بارساله بوفد إلى ماريوس لطلب هدنة فأغراه سولا بعرض لا يستطيع مقاومته و هو منحه الجزء الغربي لنوميديا مقابل تسليم يوغرطة و بهذا تجنب الخطأ الذي وقع فيه سيفاكس من قبل.

(1) توريت مصطفى، المرجع السابق، ص123.

(2) محمد الأسعد رزيق و نبيل عيساوي، المرجع السابق، ص64.

(3)جمال مسرحي، المرجع السابق، ص66.

في أثناء تلك الفترة كانت لقاءات عديدة قد تمت بين سولا و بوخوس بحضور أحد الأمراء النوميديين المقربين من يوغرطة و هو أسبار (Aspar) الذي يبدو أنه شعر بمكيدة الرومان لذلك حاول أن يقنع الملك بوخوس بضرورة إلقاء القبض على سولا و أخذه كرهينة إلى يوغرطة[1]، فحسب فنطر فإن أسبار و سولا كانا يحثان بوخوس على القيام بنفس العمل، فالرومان يريدون يوغرطة و هذا الأخير يريد سولا فبوخوس بعد أن ميز في الأمر اختار بدون شك ضمان الحماية من حليف قوي و لكن بعيد و القضاء على جار خطير و بذلك اتخذ موقف حماية مصالحه و مصالح مملكته بالدرجة الأولى[2].

كما قدم سولا لبوخوس بعض المغريات منها توسيع مملكته على حساب نوميديا و منحه وسام "حليف الشعب الروماني"، و بالإضافة إلى ذلك قد أخبرانا سترابون أن الملك الموري سار بحملات إلى الأعلى ضد الاثيونبيين الغربيين ربما هذا ما جعله بأن يصبح عنصراً أساسيا في المؤامرة إلقاء القبض على يوغرطة مقابل مكاسب إقليمية في نوميديا الغربية اتفق كل من سولا و بوخوس على نسج خيوط المؤامرة الدنيئة و أرسل بوخوس مبعوثا (أسبار) لدعوة يوغرطة إلى اجتماع يتم فيه مناقشة شروط السلام المشرف و يصور لنا مشهد خيانة يوغرطة من طرف صهره بوخوس قائلا:" في أول اليوم أعلن الملك اقتراب يوغرطة رفقة بعض الأصدقاء و مفوضنا... كما لو كان يشرفه وقف على ربوة بقائه تمكين الأفراد المؤامرة عن الرؤية الجديدة تقدم النوميدي مع أغلب أفراد عائلته أعزل ...و عندما أعطيت الاشارة خرج رجال الكمين...ارتموا عليه....و قيد بالسلاسل ليسلم إلى سولا". يذكر لنا بلوتارخ أن البربري لحظة قدوم يوغرطة شهد تغييرا في القلب و شعر ..... و صاحبه التذبذب ما إذا كان سيسلم يوغرطة لسولا و مع ذلك قرر أخيراً تنفيذ خطته الأولى للخيانة حيا في يد سولا في صيف 105ق.م بعد أن قتل كل من كان معه[3].

و سلم العاهل النوميدي بعد ذلك لماريوس قائد الجيش الروماني الذي اقتاده بدوره إلى مدينة روما[4]، بعربته التي تجر يوغرطة و ولدين له و هناك في روما بعد الاستعراض به مكبلا بالسلاسل الحديدة في الساحة العامة و بعدما مزق البعض سترته من جسده و آخرون انتزعوا حلقة أذنه الذهبية التي مزقوا بها شحمه أذنه دفع عاريا إلى حفرة الزنزانة(Tilianum)[5]

(1)جمال مسرحي، المرجع السابق، ص75.

(2)توريت مصطفى، المرجع السابق، ص124.

(3)بلوتارخ، **تاريخ الأباطرة و الفلاسفة الاغريق**، تر:جرجيس فتح الله،مج1، ط1، دار العربية، لبنان، 201، ص823.

(4)محمد الصغير غانم و آخرون، (المقاومة...)، المرجع السابق، ص306.

(5)**تلتيانوم**: زنزانته تحت أرضية سجن روما بعمق 12 قدما يصفها ساليست بأنها محاطة بجدار ضخمة و سقف عبارة عن قبة بنيت بحجارة ضخمة. أنظر: جمال مسرحي، المرجع السابق، ص76.

و أمام تلك المعاملة اللاإنسانية قال مقولته الشهيرة و هو أمام باب الدهليز المشار إليه :"بآلهتكم ما أبرد بيت الاستحمام عندكم"[1] و قد بقي يوغرطة ستة أيام لا يذوق طعاما و شرابا و بعدها أفرج من زنزانته ليشنق في الساحة العمة بمدينة روما في 07 جانفي 104ق.م و ذلك يكون عبرة لمن تخول له نفسه الوقوف في وجه المد الروماني[2]. و رغم إلقاء القبض على يوغرطة لم تمت المقاومة النوميدية بدليل أن ماريوس لم يغادر افريقيا بعد المكيدة و استمر إلى نهاية السنة مما يؤكد حسب بعض المؤرخين استمرار المقاومة في مناطق مختلفة من التراب النوميدي[3].

أستطيع القول في الأخير بأن يوغرطة يعد ثاني شخصية نوميدية حملت راية الحرية بعد سيفاكس و نالت الشرف في ذلك بدليل مدى تضحيته بحياته من أجل كفاحه ضد العدو الأجنبي (الروماني) في سبيل توحيد و لم شمل وطنه بمقاومته التي دامت أكثر من 06 سنوات و التي أرهقت كاهل الرومان و بثت الرعب في نفوسهم فأنا أعتبر يوغرطة و مقاومته كإحدى نماذج بما يسمى اليوم في تاريخنا المعاصر بحركات التحرر.

III: تداعيات حرب يوغرطة على نوميديا و روما

تعتبر مقاومة يوغرطة من أشد المقاومات وأكثرها تنظيما و التي تصدت للاحتلال الروماني طيلة سبع سنوات حيث تواترت فيها الانتصارات و الانهزامات مخلفة بذلك تداعيات ثقيلة سواء كنت على المنطقة أو على روما.

1/ تداعيات الحرب على نوميديا:

بعد تلك النهاية المأسوية لتلك الملحمة الخالدة من البطولة و الاستماتة التاريخية في الدفاع عن الوطن قام ماريوس و بدون تضييع للوقت في تطبيق سياسة الدولة الرومانية إذ بدأ مباشرة في التنظيم و وضع نوميديا الجديدة حيث قام بالعبث و تفتيت الوطن النوميدي بترتيبات إقليمية على الخارطة السياسية لنوميديا و توزيعه على الأطراف التي توسمت فيها روما الاستعداد للمحافظة على نفوذها و تحقيق مآربها في المنطقة المغاربية[4]:

- تغيرت الحدود السياسية للمملكة نوميديا بحيث أعطى الثلث الثاني الموالي لموريتانيا لبوخوس الأول وفاء من الرومان لوعودهم التي ضربوها أثناء تحالفه معهم و مساهمته الفعالة في إلقاء القبض على يوغرطة[5].

(1)محمد الصغير غانم و آخرون، (المقاومة...)، المرجع السابق، ص306.
(2)محمد الأسعد رزيق و نبيل عيساوي، المرجع السابق، ص69.
(3)جمال مسرحي، المرجع السابق، ص76.
(4)محمد الأسعد رزيق و نبيل عيساوي، المرجع السابق، ص70.
(5)محمد الصغير غانم، (مقالات...)، المرجع السابق، ج1، ص179.

– بذلك تعدت مملكة المور الحدود الطبيعية التاريخية بينها و بين النوميد المتمثل في الحاجز المائي و هو نهر ملوية يرى جات مزارد أن الجزء الجديد الذي أعطي لبوخوس يمتد تقريباً إلى حدود دليس الحالي و سليل أما قزال فيرى أنها لم تتعدى واد شلف أما فرونسوا دوكريه و مُحَمَّد فنطر وضعوها بتحفظ بين نهر الأمساغا (وادي الكبير) و نهر شلف[1].

– القسم الشرقي (الثلث الثاني) من نوميديا[2] و تنصيب الأمير "غودا"[3] (Gauda) كملكاً صورياً على نوميديا الشرقية[4]. يبدو من خلال تنصيب غودا ملكا على نوميديا الشرقية أن الرومان كانوا يسعون إلى إقناع النوميديين بأنهم يحترمون تقاليدهم في تولي الحكم من خلال تعيين غودا ملكا على العرش لأنه أكبر سناً، و من جهة أخرى تعيين هذا الملك يجعل ماريوس مطمئنا على المصالح الرومانية لأن ضعف الشخصية ستجعله يخشى قوة الرومان و سطوتهم و حتما سيبقى خاضعا مخلصا لهم[5].

– انفتاح نوميديا ثانية أمام نشاط رجال المال و الأعمال الرومان[6]، و الجواسيس الذين يستغلون الثروات النوميدية لخدمة المصالح الرومانية[7]. و قد بقي إسناد الثلث الثالث مجهولاً[8]. كما كان من نتائج حرب يوغرطة يوغرطة على الأوضاع في نوميديا و خاصة في افريقيا أنه استصدر السيناتورينيوس سنة 103ق.م قانون أبوليا (les Apulia) لصالح قدامى محاربي حرب يوغرطة من الجيتوليين من جنود ماريوس و قد قضى هذا القانون علة منح كل واحد إقطاعا مساحته 100 يوجرا (حوالي 25 هكتاراً) و من المحتمل أن هذا الاقطاع يقع بالمنطقة الممتدة ما بين الخندق الملكي و أشولا و ثيناي إلى غرب الواد الأوسط لنهر المجردة و في السهل الحالي لسوق لخميس[9]. كما بادر ماريوس بعملية استيطان الجالية الإيطالية في العديد من المدن[10].

(1)مُحَمَّد الأرزق سعيد و نبيل عيساوي، المرجع السابق، ص70.

(2) هشام الصفدي، **تاريخ الرومان**، ج1، دار الفكر الحديث، لبنان، 1967، ص230.

(3)**غودا**:هو ابن مستنبعل و أخو يوغرطة تولى الحكم بعد اعتقال أخيه، و بلغت مملكته إلى غاية غرب مدينة صلداي، جلس على العرش و هو كبير في السن و لم تطل مدة حكمه و وُصف أنه رجل ضعيف الشخصية. أنظر: مُحَمَّد مبارك الميلي، المرجع السابق، ص201.

(4)عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص365.

(5)جمال مسرحي، المرجع السابق، ص77.

(6)فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص166.

(7)جمال مسرحي، المرجع السابق، ص77.

(8)مُحَمَّد الصغير غانم و آخرون، (المقاومة ...)، المرجع السابق، ص310.

(9)فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص166.

(10) مُحَمَّد الأسعد رزيق و نبيل عيساوي، المرجع السابق، ص71.

– إنشاء مملكة في القسم الأوسط أي بين واد شلف حتى حدود المملكة صلداي (بجاية) أطلق على ملكها اسم "ماستينيساس" (Mastanesosus) و يعتقد الشنيتي أنها كانت منطقة حرة جعلها الرومان فاصلة بين موريتانيا الموسعة و نوميديا المصغرة خشية وقوع نزاع بين المملكتين[1].

– استغلال العديد من الثروات المختلفة في كل من نوميديا المقسمة و موريتانيا الموسعة حيث استمر بوخوس إلى آخر أيام حكمه الممول الأساسي لروما سواء بالمساعدات العسكرية أو المواد الغذائية كالقمح أو الحيوانات خاصة ما تحتاج إليه سواء في الحروب أو الاستعراضات[2].

– اعتبار مجلس الشيوخ نوميديا[3] بعد هزيمة يوغرطة أنها ملك عام للشعب الروماني المنتصر و ذلك بمقتضى حق الامتلاك بعد الاستيلاء الذي كان يطبقه الرومان في توسعاتهم[4].

2/ تداعيات الحرب على روما:

تمكنت روما من أخذ درس قاسٍ من خلال هذه الحروب و اقتنعت بقوة المغاربة في الدفاع عن العرض و الأرض الذين تمكنوا من إلحاق الكثير من الخسائر لروما[5]، حيث أحدثت الحرب ضد يوغرطة آثاراً بعيدة المدى لا عن نوميديا فحسب بل حتى على روما أيضاً إذ[6] فقد مجلس الشيوخ هيبته خاصة بعد تفشي الرشوة في أوساطه[7] و و مناهضة الفرسان و العامة حيث أصبح لهؤلاء اليد الطويلة في تسيير مجلس الشيوخ إذ نجحوا عام 107ق.م في انتخاب القائد الشعبي ماريوس لقنصلية عام 107ق.م و بهذا القرار الجديد أبطل قرار مجلس الشيوخ الذي كان من اختصاصه بمقتضى التقاليد الدستورية التدخل في تعيين القناصل[8]، كما اعتبر عصره بداية جديدة في الحين من خلال فتحه المجال للمتطوعين على أساس القدرة البدنية لا على أساس الثروة كما جعل رواتب يتقاضونها و عند تسريحهم تمنح لهم قطع أراضي زراعية كما تم منح الحقوق الرومانية الكاملة لأعداد كبيرة من الايطاليين الذين يتعذر عليهم الحضور في الجمعيات الشعبية[9].

(1) توريت مصطفى، المرجع السابق، ص126.
(2)جمال مسرحي، المرجع السابق، ص78.
(3)عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص365.
(4)محمد الصغير غانم، (مقالات...)، ج1، المرجع السابق، ص180.
(5)عبد الحميد عمران، المرجع السابق، ص365،364.
(6)محمد الأسعد رزيق و نبيل عيساوي، المرجع السابق، ص73.
(7)جمال مسرحي، المرجع السابق، ص79،78.
(8)فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص65،64.
(9)توريت مصطفى، المرجع السابق، ص127.

- بروز خطر القبائل الجرمانية من الشمال الايطالي بقيادة قبيلتي التوتون (Toutons) و الكمبري (Cimbres) بدافع الجوع و البحث على أراضي خصبة و قد تصدى لها ماريوس و أنقذ إيطاليا و روما من هذه الأخطار عام 102ق.م[1].

- فتح صراع من جديد بين العامة و النبلاء و ذلك أن ماريوس الذي لمع نجمه أصبحت له مكانة كبيرة في روما كان لا ينتمي إلى طبقة النبلاء و لا إلى الأرستقراطيين ليتحول ذلك الصراع من صراع سياسي إلى حرب أهلية سفكت فيها دماء الرومان و أحدثت انقساماً لا رأب له و آلت إلى حكم طغيان و تفشي الفوضى في جهاز الدولة خلال القرن الأخير من عصر الجمهورية الرومانية بين ماريوس و سولا الذي يرجع بلوتارخ[2] سبب كراهية بينهما إلى تلك المؤامرة الذي تمكن سولا على إثرها الظفر بيوغرطة و بأخذ تاج النصر من ماريوس[3].

(1) عمر بوصبيع، "حرب يوغرطة و دورها في بزوغ نجم القائد ماريوس الرجل الجديد في روما"، مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية، جامعية الشهيد حمة لخضر، الوادي، العدد 20، 2017، ص406،407.

(2)**بلوتارخ**:ولد عام 45ق.م أو 50ق.م، درس في أثينا على يد الفيلسوف أمونيوس زار مصر و قضى في روما مدة من الزمن من مؤلفاته الأخلاقيات و التراجم و الأدب. أنظر: بلوتارخ، المصدر السابق، ص ص 7-11.

(3) مُحَمَّد الأسعد رزيق و نبيل عيساوي، المرجع السابق، ص76.

خـاتـمة

إن أكثر المواضيع صعوبة تلك المتعلقة بالشخصيات مخافةً أن لا تنال حظها من التناول فالشخصيات على العموم يكتنفها الغموض في كل ما يتعلق بالأمور النفسية و الأسباب التي تتعلق بالأهواء، كما تتضمن جانب كبير من الذاتية للباحث، خاصة و أن دراسته تنطلق من الأسباب الذاتية تتمثل في الرغبة النابعة من حبها و التأثر بها، و كيف لا يكون ذلك و نحن نتحدث عن شخصية وطنية بامتياز عملت على طرد الوجود الروماني من المنطقة في وقت كانت الأغلبية —و ظهرت في إخوته– تسعى إلى كسب ودهم خوفاً على مصالحهم و امتيازاتهم الملكية، كما أنني أقر بأنني انطلقت من فكرة تعظيم هذه الشخصية بالنظر إلى أسماء لم تجلب من تحالفها مع الرومان إلى أن فتحت أبواب الدخول لشمال إفريقيا على مصرعيها أمام الرومان و بالمقابل تجد تبجيل و تعظيم ممن يعملون على تبييض الوجوه و إن تحكمت فيهم المصالح الشخصية، لذلك حاولت الوصول إلى نتائج تعبر عن مدى تقديري لشخصية يوغرطة و كيف واءمت سياسته متغيرات الأحداث، و سأحاول إبرازها في النقاط التالية:

1. إن علاقة روما بالملوك النوميد قديمة تعود إلى الحروب البونية التي خضتها روما ضد قرطاجة في البحر الأبيض المتوسط، و تأرجحت تلك العلاقات بين العداء و التحالف و من أهم الملوك الذين ربطتهم علاقات مصالح بروما نذكر ماسينيسا و غريمه سيفاكس، وكيف تنقلا الاثنين من حليف إلى عدو و العكس و ذلك حسب متغيرات الأحداث، و على الرغم أننا لسنا بصدد الحكم على الملكين إلا أننا يجب أن نذكر تلك السياسة التي انتهجوها كان لها تأثير كبير على المنطقة بغض النظر عن مصالحهم الشخصية و قراءاتهم لميزان القوى آنذاك.
2. تميزت علاقة مكيبسا بروما من بعد والده ماسينيسا بالسلم طوال ثلاثين سنة من الحكم و كان مصدر عون لها في جميع المجالات السياسية و العسكرية و الاقتصادية بالدرجة الأولى، و بوفاته بدأت نوميديا تدخل مرحلة جديدة عرفت بالحرب اليوغرطية.
3. كانت قراءة يوغرطة للأحداث التي سبقته مختلفة، فعلى الرغم من أنه تربى في كنف تحالف مع الرومان و خدمتهم و الوفاء لهم و تظهر مخرجات تلك السياسة على إخوته إلا أن يوغرطة شد في تفكيره و ظهرت عليه تلك النزعة الرافضة للوجود الروماني و الخضوع لهم في أول لقاء جمعه بإخوته بعد وفاة مكيبسا.

4. ارتبط اسم يوغرطة بالحرب التي خاضها ضد روما و على الرغم من اتصاله بالرومان يعود إلى فترة ما قبل اعتلاء العرش في حياة والده، و استطاع أن يكون علاقات مع الأطراف الرومانية خاصة القائد سكيبيو إيميليانوس الذي أشاد بخصاله العسكرية عبر رسالة كانت السبب في إشراكه بالحكم، و في ذلك دليل على انصياع مكيبسا لرغبات الرومان على الرغم من خوفه على أبنائه أمام شخصية قوية مثل يوغرطة.
5. قام يوغرطة بوصوله للحكم بتصفية منافسيه بدءا بهيمصال، و ذلك كان تحت غطاء البريء الذي بقي يكن الولاء لروما، و ذلك في سياسة منه لمهادنة الأطراف الأقوى بحثا عن الأنصار و التباع و القوة التي تساعده على الوقوف في وجهها.
6. واجه يوغرطة بعد قضائه على أخيه أدر بعل عداءه للرومان خلال التنكيل بالجالية الايطالية المقيمة بالعاصمة كيرطا سنة 112ق.م، في سعيه لتوحيد نوميديا، و تم من خلالها إعلان مجلس الشيوخ الحرب ضده لتدخل المواجهات حيز الند للند.
7. اعتمد يوغرطة طيلة فترة حربه على عدة وسائل لتحقيق النصر من حربية مسلحة و حرب نفسية مستغلا بذلك الأوضاع الاجتماعية التي كانت تمر بها روما آنذاك و حتى تعفن الجهاز الإداري و العسكري و ضعف القادة العسكريين و استخدم الرشوة و أثبت قدراته العسكرية في تحدي الجيوش الرومانية و استخدم أسلوب الكر و الفر و حقق مجموعة من الانتصارات.
8. إن انتصار روما على يوغرطة في نهاية المطاف لم يكن نتيجة للقوة العسكرية بل لأسلوب انتهجته روما يسمى بسياسة التحالفات التي تمثلت في بوخوس الأول الملك الموريتاني و سيلا مساعد القنصل ماريوس و كان ضحيتها الملك يوغرطة سنة 105ق.م.
9. يعتبر يوغرطة ثاني شخصية تاريخية رفعت شعار الوحدة الوطنية و أول مقاومة سجلتها المصادر التاريخية بحيث أنه كان رافضا لأي وجود أجنبي في المنطقة.
10. أصبحت نوميديا بعد القضاء على الملك يوغرطة ملك عام للشعب الروماني المنتصر و حتى تظل هذه المملكة ممزقة و مفرقة عملت على تنصيب أمراء ضعاف الشخصية من أجل التحكم في المملكة و فتح مجال أمام تجارها الباحثين عن الثروة.

11. أدت حرب يوغرطة إلى كشف خبث و عيوب مجلس الشيوخ الروماني الذي تفشت فيه الرشوة و الفساد و الصراع الطبقي الذي خلق آثاراً عميقة لروما انعكست على سياستها الداخلية و الخارجية.

الملاحق

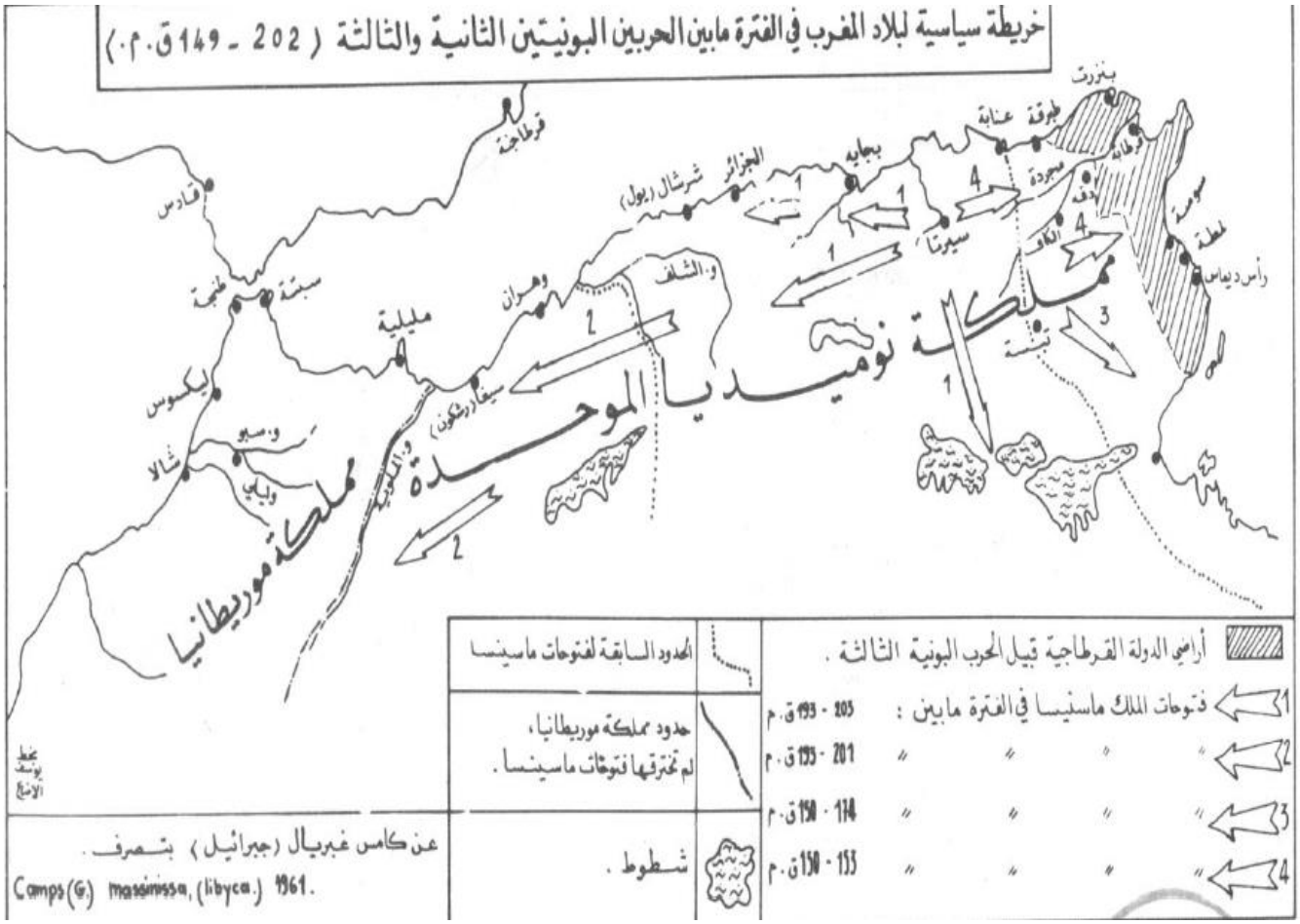

الملحق رقم (01): خريطة تمثل مملكة نوميديا ما بين الحرب البونية الأولى و الثانية (202 ق.م- 149ق.م)

المصدر: توريت مصطفى، (العلاقات...)، المرجع السابق، ص233.

الملحق رقم (02) يمثل صورة للملك ميكيبسا

المصدر: مُحَمَّد الهادي حارش، (دراسات...)، المرجع السابق، ص204.

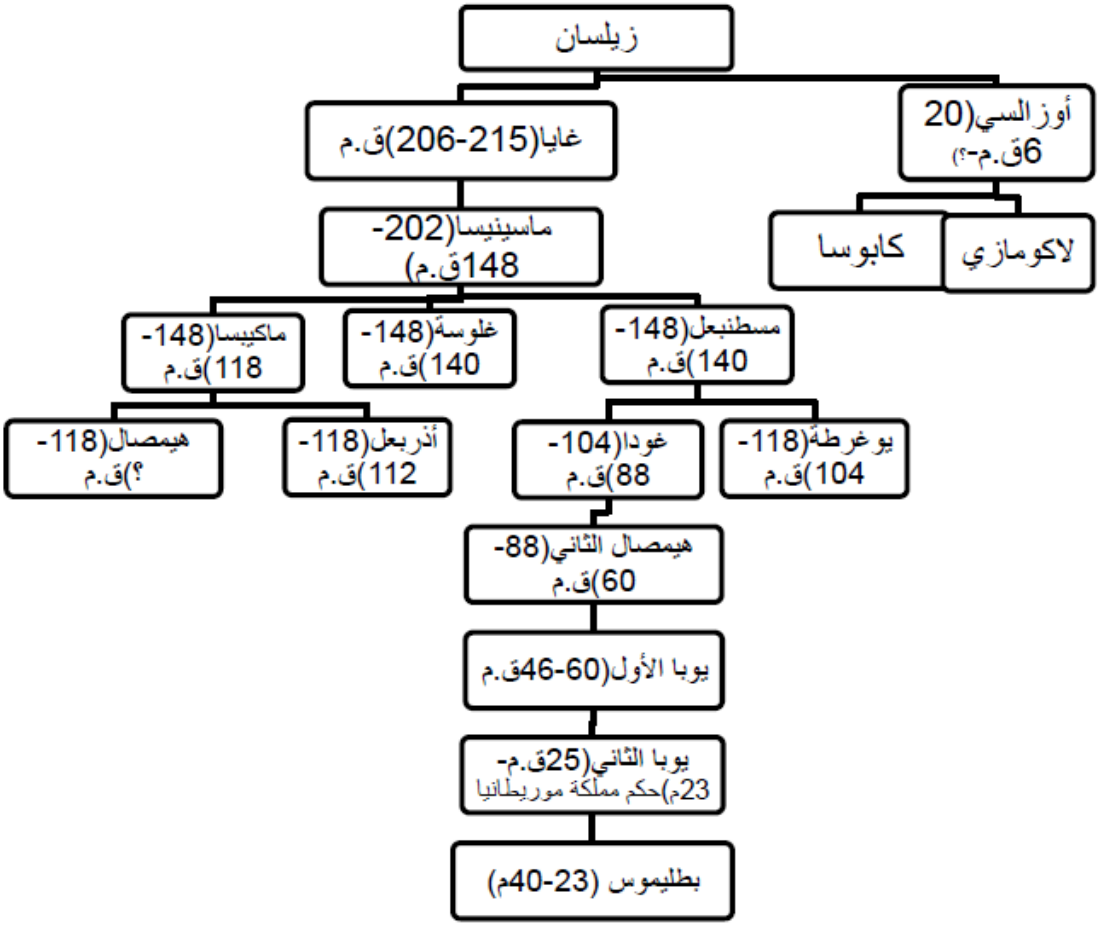

الملحق رقم (03): شجرة عائلة الملك يوغرطة

المصدر: حسيبة باحمان، المرجع السابق، ص 19.

الملحق رقم (04) يمثل صورة الملك النوميدي يوغرطة

المصدر: مُحَّد الهادي حارش، دراسات و نصوص في تاريخ الجزائر و بلدان المغرب في العصور القديمة، در هومة، الجزائر، 2013، ص213.

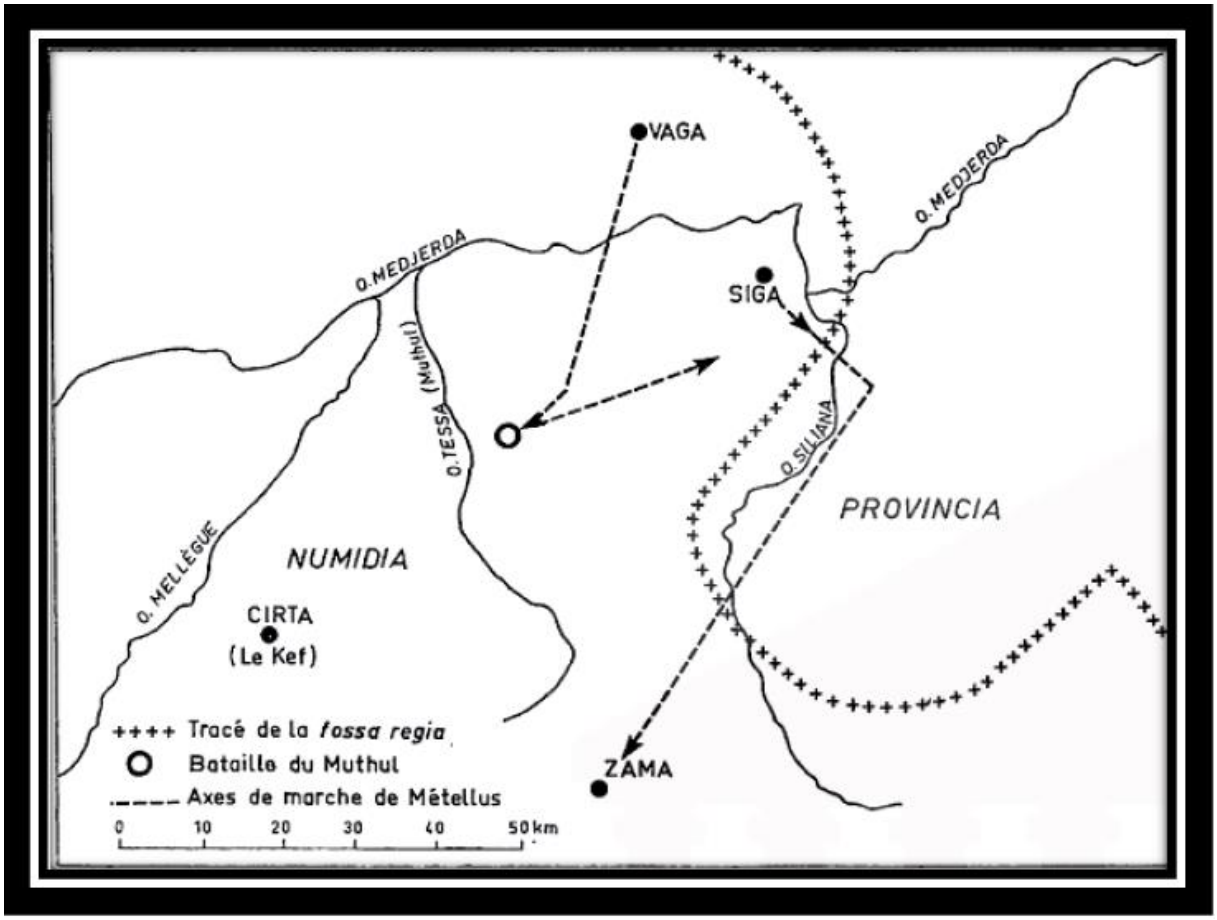

الملحق رقم (05) : خريطة تمثل مواقع المعارك التي دارت بين يوغرطة و القنصل ميتيلوس سنة 109ق.م في منطقة زاما و نهر المثول

المصدر: André Berthier, la Numidie et Rome et le Maghreb, Picard, France, 1981, P62.

المصادر و المراجع

المصادر بالعربية:

- بلوتارخ، تاريخ الأباطرة و الفلاسفة الاغريق، تر:جرجيس فتح الله،مج1، ط1، دار العربية، لبنان، 2011.
- ساليستيوس، الحرب اليوغرطية، تر: مُحَمَّد المبروك الدويب، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا، 2007.

المراجع باللغة العربية:

- أبو الماضي عبد الهادي بن موسى، الوجيز في حرب العصابات، معهد أجنادين للتربية الجهادية، فلسطين، 2019.
- العقون مُحَمَّد العربي، المؤرخون القدامى غايوس ساليستيوس (86ق.م-33ق.م)، حرب يوغرطة، دار الهدى، الجزائر، 2006.
- جوليان أندري شارل، تاريخ شمال افريقيا، تع: مُحَمَّد مزالي،ج1،ط1، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2011،ص125.
- حارش الهادي مُحَمَّد، التطور السياسي و الاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش حتى وفاة يوبا الاول (203ق.م-46ق.م)، دار هومة، الجزائر،2014.
- _____، ذاكرة الجزائر صفحات من تاريخ المقاومة الشعبية عبر العصور (يوغرطة ما بين 160-104ق.م)، المتحف المركزي للجيش، الجزائر، .
- _____، مملكة نوميديا دراسة حضارية من أواخر القرن التاسع إلى منتصف القرن الأول ق.م، دار هومة، الجزائر، 2013.
- _____، دراسات و نصوص في تاريخ الجزائر و بلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومة، الجزائر، 2013.
- حتامله مُحَمَّد عبده، أيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين، وزارة الثقافة، الأردن، 1996.
- الحجازي عبد العزيز عبد الفتاح، روما و افريقيا من نهاية الحرب البونية الثانية إلى عصر الامبراطور أغسطس، ط1، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، 2007.
- حمروش أحمد، حرب العصابات، دار الكتاب العربي، 1948.
- خشيم علي فهمي، نصوص ليبية، ط2، دار مكتبة الفكر، طرابلس، 1975.
- ديورانت ويل، قصة الحضارة، ج1، مج3، تر: مُحَمَّد بدران، دار الجبل، لبنان، 1988.
- رزق الله إبراهيم أيوب، التاريخ الروماني، ط1، الشركة العالمية للكتاب، 1996.

- سليماني أحمد، يوغرطة و ماسينيسا، دار القصبة، الجزائر، 2007.
- سويدي جمال، شخصيات بارزة في تاريخ الجزائر القديم إلى 1830،تر: فايزة بوردوز، منشورات التل، البليدة، 2007.
- الشنيتي البشير مُحَمَّد ، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146-40م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- _____، التغييرات الاقتصادية و الاجتماعية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984.
- _____، نوميديا و روما الامبراطورية تحولات اقتصادية و اجتماعية في ظل الاحتلال، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2012.
- _____، أضواء على تاريخ الجزائر، دار الحكمة، الجزائر، 2003.
- الصفدي هشام، تاريخ الرومان، ج1، دار الفكر الحديث، لبنان، 1967.
- طراد نجيب ابراهيم و آخرون، تاريخ الرومان، مكتبة و مطبعة العد، مصر، 1998.
- عبد الغني مُحَمَّد السيد، نماذج من الكفاح الجزائري القديم ضد الهيمنة الرومانية القديمة، المكتبة الجامعية، الاسكندرية، 1999.
- العربية، الجزائر،1960.
- علي أحمد عبد اللطيف، التاريخ الروماني عصر الثورة من تيبيريوس جراكوس إلى أكتافيوس أغسطس، دار النهضة، بيروت، 1988.
- علي أحمد عبد اللطيف، مصادر التاريخ الروماني، دار النهضة العربية، بيروت، 1970.
- عمورة عمار، الموجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة، الجزائر، 2002.
- غانم الصغير مُحَمَّد ، مقالات و آراء في تاريخ الجزائر القديم، ج1، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2005.
- _____، المقاومة و التاريخ العسكري المغاربي القديم، دار هومة، الجزائر، 2007.
- فرحاتي فتيحة، نوميديا من حكم الملك غايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213ق.م-46ق.م، منشورات أبيك، متيجة، 2007.
- فنطر مُحَمَّد، يوغرطة من ملوك شمال افريقيا و أبطالها، مكتبة المركز الثقافي التونسي، طرابلس، 1970.
- قداش محفوظ، الجزائر في العصور القديمة،تر: صالح عباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993.
- كامبس قابرييل، في أصول البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، تر: مُحَمَّد العربي العقون، المجلس الأعلى للغة

- مكاوي فوزي ، تاريخ العالم الاغريقي و حضاراته من أقدم العصور حتى عام 322ق.م،ط1،دار الرشاد، الدار البيضاء، 1980.
- مهران بيومي مُحَمَّد، المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1990.
- الميلي مبارك، تاريخ الجزائر القديم و الحديث، ج1، دار الغرب الاسلامي، لبنان،1989.
- الميلي مُحَمَّد و عبد الله شريط، الجزائر في مرآة التاريخ، ط1، مكتبة البعث، قسنطينة، 1965.
- نصحي ابراهيم ، تاريخ الرومان، ج2، ط2،(د م ن)، 1978.

المراجع باللغة الأجنبية:

- André Berthier, La Numidie et Rome et Le Maghreb, Picard, France, 1981.
- Fantar et Decret, l'Afrique du nord dans l'antiquité, édition payot, paris, 1981.
- M.l LA CROI ET h.j Yanoski et autres, Histoire de La Numidie et La Frique, T :III,(sans lieux), 1844.
- Sylla.(s),Jugurtha d'hier aujourd'hui :du resistant Berbére a l'eternel jugurtha, le passe pour servite present, halid :halshs,18,sept2020

المعاجم:

- هنري عبودي، معجم الحضارات السامية،ط2، جروس برس، لبنان،1991.

المذكرات:

- باحمان حسيبة، الخطط العسكرية للمقاومات النوميدية للاحتلال الروماني 146ق.م-430م، رسالة دكتوراه، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2021.
- بولخلوخ مُحَمَّد، التنظيم العسكري لمملكة نوميديا من سنة 220ق.م إلى 46ق.م، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الانسانية، بوزريعة، 2014.
- دردار فتحي، الثورات النوميدية في مواجهة التدخل الروماني (111-46ق.م)، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر2، 2015.
- راشد توفيق مسعود، سياسة الرومان في نوميديا و علاقتها بأمراء المحليين بعد تدمير قرطاجة سنة 146ق.م، كلية الآداب و العلوم، الاصابعة،(د ت).

- زواوي الصديق، سياسة التدرج الروماني في احتلال المغرب القديم(146ق.م-430م)، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، قالمة، 2016.
- سي الهادي ذهبية، الممالك النوميدية بين قرطاجة و روما من نهاية القرن الثالث ق.م إلى القرن الأول ق.م، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2013/2012.
- عيساوي نبيل و مُحَّد الاسعد رزيق، يوغرطة و القادة العسكريون الرومان(118-104ق.م)، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية و الانسانية، الوادي، 2020-2021، ص215.
- قعر المثرد السعيد، الزراعة في بلاد المغرب القديم، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الانسانية، جامعة قسنطينة، 2007.

الدوريات باللغة العربية:

- بشاري مُحَّد الحبيب، "علاقة روما بالممالك الافريقية بعد زوال قرطاجة"، مج12، العدد1، جامعة الجزائر2، جوان2012.
- بلعيد حسن،"سياسة روما اتجاه المقاطعت التابعة لها خلال القرنين 1/2 ق.م"، مجلة الحكمة، مج6،العدد03، المدية، مارس2018.
- بوصبيع عمر، "حرب يوغرطة و دورها في بزوغ نجم القائد ماريوس الرجل الجديد في روما"، مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية، جامعية الشهيد حمة لخضر، الوادي، العدد 20، 2017.
- توريت مصطفى، "طبيعة العلاقات لعسكرية و الاقتصادية بين نوميديا و روما ما بين 203-46ق.م"، مجلة البحوث التاريخية، مج01، العدد02، جامعة مُحَّد بوضياف، المسيلة، 2017.
- تيغرمين المجيد، "الملك مكوسن من خلال النقوش الاثرية(148-118ق.م)"، مجلة كان التاريخية، العدد30، ديسمبر 2015،ص 52.
- حارش مُحَّد الهادي، "ساليست و حرب يوغرطة دراسة تحليلية نقدية"، مجلة البحوث و الدراسات، مج06، العدد 01، الاردن،1991.
- دوة بوزيد، "مقاومة يوغرطة للاحتلال الروماني (112-105ق.م)"، مجلة التمكين الاجماعي، العدد01، مج04، 2022.
- سرحان أبوبكر، "مدن و موانئ بلاد المغرب القديم فترة الاحتلال الروماني 27ق.م-235م"، مجلة المؤرخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد 44، 2014.
- الشارن شافية، "الرشوة عند الرومان من خلال كتابات ساليست"، مجلة دراسات إنسانية، العدد01، جامعة الجزائر02، 2001.

- الشنيتي مُحَّد البشير،"قضية السيادة النوميدية من خلال المصادر القديمة"، مجلة الدراسات النايخية، مج3، العدد02، جوان1988.
- العقون مُحَّد العربي، "الانقسام و الصراع على السلطة في إفريقيا الشمالية القديمة أزمة وراثة العرش النوميدي(118ق.م)"، مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية، العدد 15،جامعة قسنطينة، الجزائر، 2006.
- غانم مُحَّد الصغير،"الملك سيفاكس و الكيان النوميدي"، مجلة التراث، العدد09، مطبعة الشهاب، باتنة، 1997.

فهرس المحتوى

فهرس المحتوى	
العنوان	**الصفحة**
شكر و تقدير	
إهداء	
مقدمة	أ
الفصل الأول: أوضاع المغرب القديم قبل ظهور يوغرطة في الأحداث	
I : ماسينيسا و علاقته بالرومان	06
1/ اسمه و نشأته	06
2/ ظهور الملك ماسينيسا بعد وفاة الملك غايا و دوره في الحرب البونية الثانية 218-202ق.م	09
3/ علاقة الملك ماسينيسا بروما	14
II : مكيبسا و علاقته بالرومان	16
1/ تقسيم السلطة	16
2/ نشأة مكيبسا و إسهاماته	20
3/ علاقة الملك ميكيبسا بالرومان	22
الفصل الثاني: بروز يوغرطة في ساحة الأحداث	
I: شخصية يوغرطة	25
1/ مولده و نشأته	25
2/ خصاله و صفاته	26
II : تبني مكيبسا ليوغرطة	27
1/ خوف مكيبسا من وراثة العرش و سعيه للتخلص من يوغرطة	27
2/ تبني مكيبسا ليوغرطة رسميا و إلحاقه بالعرش	29
III : خلاف يوغرطة مع إخوته بالتبني و انفراده بالحكم	33
1/ صراع يوغرطة مع هيمصال	33
2/ صراع يوغرطة مع أدر بعل و توحيده لنوميديا	35

الفصل الثالث: إستراتيجية يوغرطة في حربه ضد الرومان	
I : سياسة المهادنة و الرشوة	43
1/ سياسة المهادنة	43
2/ سياسة الرشوة	44
3/ سياسة حرب العصابات	49
II : المواجهة العسكرية و سياسة الند للند	54
1/ المواجهة العسكرية مع القنصل ميتيلوس	54
2/ سياسة الند للند مع القنصل ماريوس	57
III : تداعيات حرب يوغرطة على نوميديا و روما	61
1/ تداعيات الحرب على نوميديا	61
2/ تداعيات الحرب على روما	63
خاتمة	66
الملاحق	69
قائمة المصادر و المراجع	76
فهرس المحتوى	82